

الأخلاق

للإمام العلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي

دراسة وشرح وتحفيظ

عادل عبد المنعم أبو العباس

مكتبة القرآن

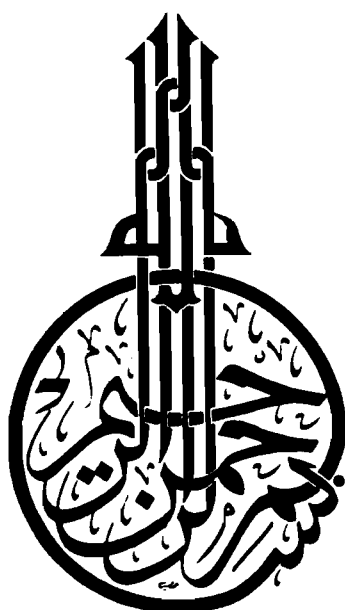
للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القباش بالفرنساوى - بولاق
القاهرة - ت ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١

وكيلنا الوحيد بالملكة العربية السعودية ،

مكتبة الساعي

الرياض ت. ٤٢١٥٦٣٦ - فاكس ٤٢١١٤٣٤
ف. ب. ٦٥٣٢٠٨٩ - تليفون

جميع الحقوق محفوظة للناس



مقدمته المحقق

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأصلى وأسلم على سيد ولد آدم سيدنا محمد ، وعلى من آمن معه واتبع هديه إلى يوم الدين .

وبعد

فإن العقيدة الإسلامية هي العقيدة الصافية النقية التى تأخذ بيد البشرية إلى ما يحفظ عزتها وكرامتها ، ذلك لأنها تواكب الفطرة التى فطر الإنسان عليها ، فما من شيء جاءت لتأمر به إلا وقال العقل نعم هذا هو لب الصواب ، وما نهت عن شيء إلا واستجاب لهذا النهى لأنه لا يتفق مع فطرة الإنسان وطبيعته . ولقد كان لهذه العقيدة الفضل الأكبر فى إنقاذ آلاف الملايين من البشر مما تردوا فيه من خزي وضلال ، وإخراجهم من حياة يحفها الهم والضيق والتكد من يمينها وهماها وفوقها وأسفل منها ، ونقلهم من الذلة والمهانة إلى العزة والكرامة .

فنحن نعلم أن الأمم قبل بزوغ فجر الرسالة المحمدية كانت تعيش عيشة الذئاب ، وتحيا حياة الغابة لا يحكمهم قانون ، ولا تسيطر عليهم عقيدة ، ولا يدينون دين الحق . فهم مع اعترافهم بالله ، وأنه خالقهم وموجدهم كانوا يشركون معه آلهة أخرى ، ويزعمون أن هذه الآلهة الباطلة تقربهم إلى الله زلفى . وكانوا ينكرون البعث بعد الموت حتى إن شاعرهم بين أنه نوع من أنواع الخرافة التى لا تمت إلى الحقيقة بصلة فقال :

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أم عمرو
كما أنهم كانوا يعتقدون أن البقاء للأقوى حتى ولو كان ذلك على حساب
أم بأسرها ، فلا طريق للبقاء إلا بالبعد عن العدالة ، والتقرب من الظلم

وهذا هو ماعبر عنه زهير بن أنى سُلَمى بقوله :

ومن لم يزد عن حَوْضِهِ بسلاحه يُهْذَم ، ومن لا يظلم الناس يُظلم^(١)
ويعبر عنه القول المتعارف عندهم : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » .

لقد بُعث رسول الله ﷺ ، والمستوى العقائدى والأخلاقى فى العالم كله فى الدرك الأسفل ، فكانت مهمته الكبرى إنقاذ هذه الأمم من برائن الشرك والانحراف ، وإخراجهم من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان والرشاد ، وذلك عن طريق دعوته إلى إصلاح العقيدة التى وجه إليها القرآن الكريم من أول يوم نزل فيه . فدعاهم بادية ذى بدء إلى إنكار تعدد الآلهة ، والإيمان بوحدانية الله الذى خلق فسوى وقدر فهدى . وظل يدعوهم إلى هذه العقيدة مدّة طويلة من الزمان ، ليثبت ذلك الأمر الكبير فى الأذهان ، وأخذ يتدرج بهم إلى أن ثبت فى نفوسهم أركان الإيمان الستة التى جاءت فى حديث أنى هريرة - رضى الله عنه - والذى فيه أن جبريل سأل النبى ﷺ عن الإيمان فقال له : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ولقائه ، ورسله ، وتؤمن بالبعث وبالقدر كله »^(٢) . واستمر القرآن المكى يفسر للإنسان سر وجوده ، ووجود هذا الكون من حوله .

كان يقول له : من أنت ؟ .. ومن أين جئت ؟ ولماذا جئت ؟ وإلى أين تذهب فى نهاية المطاف ؟ من ذا الذى جاء بك من العدم المجهول ، ومن ذا الذى يذهب بك ، ومامصيرك هناك ؟

كان يقول له : ماهذا الوجود الذى تحسه وتراه ، والذى تحس بفطرتك أن وراءه غيباً ؟

من أنشأ هذا الوجود المليء بالأسرار ؟ من ذا الذى يدبره ؟ ومن ذا يحوره ؟ ومن ذا الذى يجدد فيه ويغيره على النحو الذى تراه ؟

وكان يقول له كذلك : كيف تتعامل مع خالق هذا الكون ومع الكون أيضاً ، كما يبين له كيفية تعامل العباد مع العباد .

(١) انظر ديوان زهير بن أنى سُلَمى ص ٣١ القصيدة الأولى ، رقم البيت ٥٤ . ط المكتبة الثقافية بيروت .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان حديث (١) والبخارى بنحوه كتاب الإيمان باب سؤال النبى عن الإيمان الإسلام .

حقاً لقد نقل القرآن الكريم الإنسان إلى عقيدته الحقه ، وأبعده عن كل عقيدة باطلة تقدر الآلهة المزيفة ، وتنكر الحقائق المقررة ، وانتشله مما تردى فيه من معالم تحطمت فيها كرامته .

عقيدة تواكب الفطرة

لقد استجابت الآلاف المؤلفة من البشر لهذه الدعوة الجديدة ، والعقيدة البصافية الرشيدة ، وراحوا ينقلونها بكل ما استطاعوا من حَوْل وطول بين إخوانهم من بنى الإنسان كانوا يقولون للناس : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا . ليس فى الآخرة فحسب ، وإنما فى الدنيا كذلك ، وكان نشيدهم الذى يترغمون به فى حلهم وترحالهم : جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد الأحد .

لقد أرادوا أن ينقلوا حلاوة الإيمان وصفاء العقيدة إلى إخوانهم من بنى الإنسان ، حتى يعم النفع فى هذا العالم الذى اشتكى مدة طويلة من الزمان من جرأ ما حدث فيه من مهانات . والحق أن كل إنسان يحيا فى هذه الحياة بغير عقيدة فهو بعيد كل البعد لا محالة عن كل سعادة ينشدها ، فالسعادة لا تأتى إلا من خلال عقيدة صافية صادقة تسير الإنسان ، وتعلمه هدفه من الحياة والكتاب الذى بين يديك أيها القارئ يحدّثك عن عقيدة المسلمين التى هى سبب فى سعادتهم فتعال معى نتعرف على المؤلف والمؤلف .



ترجمة المؤلف

هو الإمام العلامة العامل العابد الزاهد شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدم بن نصر بن عبد الله بن حذيفة ابن محمد بن يعقوب بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن محمد بن سالم ابن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب . هكذا ذكر المؤرخون نسبه واتفقوا على صحته ، وهو يعرف بين العلماء بابن قدامة المقدسي .

ولد العلامة موفق الدين بن قدامة ببلدة جماعيل في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة من الهجرة المباركة ، ولما بلغ الثامنة من عمره استولى الصليبيون على البلاد المباركة ، فهاجر مع أسرته إلى دمشق سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، وبدأ موفق الدين في حفظ القرآن ، وسماع الحديث ، وحفظ متون الفقه ، وقد منحه الله تعالى عقلاً ذكياً وقلبا طاهراً ، فبرع في العلوم وتفوق على أقرانه ، وقد كان مصاحباً لابن خالته الحافظ العلامة الإمام تقي الدين عبد الغنى بن عبد الواحد الجماعيلي . وقد أقام ابن قدامة في بغداد أربع سنين أتقن خلالها الفقه على مذهب الإمام الرباني أحمد بن حنبل .

في رحاب العلم

وكان من فضل الله تعالى عليه أنه رُزق التلمذة على يد علماء أتقياء أصفياء ، كان لهم الفضل الأكبر في توجيهه وتعليمه والاهتمام به لما رأوا فيه من نبوغ علمي ، وصفاء عقلي ، وقدرة فائقة على إتقان العلوم التي يتلقاها على أيديهم .

فقد سمع من الشيخ العلامة أبي المكارم عبد الواحد بن أبي طاهر محمد بن المسلم بن الحسن الأزدي الدمشقي المتوفى سنة ٥٦٥ هـ ، والإمام العلامة أبي

المعالى عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن صابر الدمشقى المتوفى سنة ٥٧٦هـ ، كما سمع من الشيخ الإمام أئى الفتى محمد بن عبد الباى بن أحمد المعروف بابن بطة البغدادى المتوفى سنة ٥٦٤هـ ، ومن الفقى الواعظ الأديب أئى الحسن مهذب الذين سعد الله بن نصر المعروف بابن الديقى المتوفى سنة ٥٦٤هـ ، ومن اللىفظ الفقى الثقة العلامة ابن شافع اللىلى البغدادى المتوفى سنة ٥٦٥هـ ، كما أخذ عن الشيخ اللىلى العظمى أئى طالب المبارك بن اللىلى الصيرفى البغدادى المتوفى سنة ٥٦٢هـ ، وغيرهم من أعلام بغداد وعلمائها .

وبعد فترة من الزمان تنقل ابن قدامة المقدسى خلالها هنا وهناك طلبا للعلم ، وسعى فى سبيل تحصيله استقر به المقام فى دمشق ، واشتغل بتصنيف شرحه الكبير ومؤلفه العظمى « المغنى » فى الفقه .

من التلمذة إلى الأستاذية

ولقد انتقل ابن قدامة من مرحلة التلمذة إلى مرحلة الأستاذية ، فأصبح عالماً ملء السمع والبصر ، يأتى إليه الطلاب من كل فج يهلون من علمه ، ويفتفون من أدبه وفقهه ، والحق أن تلاميذه لا يحصون عدداً ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر ، ابن أخيه قاضى القضاة شمس الدين عبد الرحمن بن أئى عمرو المقدسى ، والعز إسماعيل بن الغراء ، والعلامة ابن العماد ، وأبو شامة ، والجمال بن الصيرفى وغيرهم .

وكان تلاميذه يتلقون عنه الدروس من بكرة إلى ارتفاع النهار ، ثم يقرأون عليه بعد الظهر إلى صلاة العصر ، ومن بعد صلاة العصر إلى المغرب .

ثناء العلماء عليه

يعد العلامة الموفق بن قدامة المقدسى من كبار علماء المسلمين فى العبادة والفقه والتقوى واللىلى ، وأصول الدين ، والعربية ، والفرائض والحساب ،

والمواقيت .

وقد أثنى كبار علماء الأمة عليه وعلى علمه ، وإليك بعض أقوالهم فيه
قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « مداخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ
الموفق » .

وقال العلامة ابن كثير : « أبو قدامة المقدسي إمام عالم بارع لم يكن في
عصره ، بل ولا قبل دهره بمدة أفقه منه » .

وقال المؤرخ شمس الدين يوسف سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الزمان :
« كان الموفق إماماً في فنون ، ولم يكن في زمانه - بعد أخيه أبي عمرو والعماد
- أزهد ولا أروع منه ، وكان كثير الحياء ، عزوفاً عن الدنيا وأهلها ، هيناً ليناً
متواضعاً ، محباً للمساكين ، حسن الأخلاق ، جواداً سخياً ، من رآه فكأنما
رأى الصحابة » .

ووصفه ابن النجار في الذيل على تاريخ بغداد بقوله : « كان الشيخ موفق
الدين إمام الخنابلة ، وكان ثقة حجة نبيلاً غزير الفضل ، كامل العقل ، سديد
الثبوت ، دائم السكوت ، حسن السمعة ، نزيهاً ورعاً عابداً على قانون
السلف ، على وجهه النور ، وعليه الوقار والهيبة ، يتنفع الرجل برؤيته قبل أن
يسمع كلامه » .

وقال شيخ الإسلام أبو عمرو بن الصلاح : « مارأيث مثل الشيخ
الموفق » .

وشهادات العلماء للعلامة الموفق ابن قدامة المقدسي لا حصر لها ، وهذا دليل
على فضله وعلمه وتقواه .

أسد في ساحة المعركة

وكما كان ابن قدامة بطلاً في حقل العلم والمعرفة ، فقد كان أسداً قوياً في
صفوف المجاهدين في سبيل الدفاع عن أرض الإسلام ، والدود عن حماه وبلاده
المقدسة . فإنه عندما حشد البطل العربي المسلم صلاح الدين الأيوبي جيوش
الإسلام سنة ٥٨٣هـ لقمع الصليبيين ، وتطهير الأرض المقدسة من

أرجاسهم ، كان إمامنا العلامة ابن قدامة المقدسى . وأخوه الشيخ أبو عمرو ، وشباب أسرتهما وتلاميذهما النجباء من المجاهدين تحت هذه الرايات الطاهرة ، يقاتلون ويدافعون حتى كان النصر حليفهم بتوفيق الله ومعونته .

مؤلفاته

ولم يتوقف جهاد شيخ الإسلام ابن قدامة عند هذا الحد ، فقد راح يجاهد بقلمه مؤلفاً في علوم الإسلام ، لينهل المسلمون من هذا العلم الطاهر ، وليتعلموا أصول دينهم ، من خلال ما يكتبه هو وأمثاله من العلماء في كل العصور .

ومؤلفات الرجل كلها جليلة ، ورسائله لا يحصيها العد ، ومن أهم مؤلفاته :

- ١ — العمدة في الفقه « للمبتدئين » .
- ٢ — المقنع في الفقه « للمتوسطين » .
- ٣ — الكافي في الفقه « وهو أوسع من المقنع » ذكر فيه من الأدلة ما يؤهل الطلبة للعمل بالدليل .
- ٤ — المغنى في الفقه . طبع في عشر مجلدات .
- ٥ — مختصر الهداية لأبى الخطاب محفوظ بن أحمد البغدادي .
- ٦ — مختصر علل الحديث . للإمام الحلال .
- ٧ — مختصر في غريب الحديث .
- ٨ — البرهان في مسألة القرآن .
- ٩ — كتاب المتحابين في الله . طبع بمكتبة القرآن بتحقيق الأستاذ/ مجدى السيد إبراهيم .
- ١٠ — التبيين في نسب القرشيين . مخطوط بدار الكتب المصرية .
- ١١ — الاستبصار في الأنصار . مخطوط بدار الكتب المصرية .
- ١٢ — ذم الموسوسين . طبع في المطبعة المنيرية .
- ١٣ — فضائل عاشوراء .
- ١٤ — ذم التأويل .

- ١٥ — مسألة في تحريم النظر في كتب أهل الكلام .
 ١٦ — الاعتقاد . وهو الكتاب الذى بين يديك ، ووفقنا الله لتحقيقه .
 ١٧ — مناسك الحج .
 ١٨ — مقدمة في الفرائض .
 ١٩ — مسألة العلو . جزآن .
 ٢٠ — قنعة الأريب في الغريب .
 وله غير ذلك كثير من المؤلفات المباركة المفيدة .

شعره وجماله

وللإمام ابن قدامة نظم كثير حسن ، وشعر رائق طيب ، وقيل إن له قصيدة في عويص اللغة ومن شعره ما ذكره سبط ابن الجوزى قوله رحمه الله :

لا تجلسن بياب من يأبى عليك وصول داره
 وتقول حاجاتي إلي — ه يعوقها إن لم أذاره
 واتركه واقصِد ربهَا تقضى ورب الداركاره^(١)
 ومما أنشده لنفسه قوله وقد قارب الثمانين من عمره :

أبعد يباشر الشعر أعمر مسكناً يخبرنى شئى بأبى ميت يُخرق عمرى كل يوم وليلة كأنى بجسمى فوق نعشٍ ممدداً إذا سئلوا عنى أجابوا وعولوا وغُيِّثَ فى صدع من الأرض ضيق ويحشو على التراب أو تق صاحب فيارب كن لى مؤنساً يوم وحشتى وما ضرنى أبى إلى الله صائر	سوى القبر إنى إن فعلت لأحقى وشيكا فينعانى إلى ويصدق فهل استطاع رفع مايتخرق فمن ساكت أو معول يتحرق وأدْمَعُهم تنهل هذا الموفق وأودعت لحدا فوقه الصخر مطبق ويسلمنى للقبر من هو مشفق فأبى بما أنزلته لمصدق ومن هو أهل أبر وأرفق ^(٢)
--	---

(١) انظر الأبيات فى البداية والنهاية لابن كثير ١٠٠/١٣ .

(٢) الأبيات فى البداية والنهاية ١٠٠/١٣ .

ومن شعرة أيضاً :

كوس الموت دائرة علينا وما للمرء بد من نصيب
إلى كم تجعل التسويف دأبا أما يكفيك إنذار المشيب ؟
أما يكفيك أنك كل حين تمر بغير خل أو حبيب ؟
كأنك قد لحقت بهم قريباً ولا يفنيك إفراط النحيب

إلى الرفيق الأعلى

والحق أن سيرة هذا الإمام العالم العامل ، ومعالم حياته أكبر من أن تحيط بها مقدمة كتاب^(١) . فقد توفي - الإمام ابن قدامة رحمه الله - يوم عيد الفطر ، وكان يوم سبت ، وحضر جنازته خلق لا يحصيه إلا الله ، وكان ذلك سنة عشرين وستائة من الهجرة المباركة ، فرحة وغوراً لروحه الطاهرة جزاء ما قدم للعلم والعلماء ، ولحقنا به على أحسن حال . وجعل خير أيامنا يوم لقاء ربنا ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾



(١) إذا أردت معرفة الزيادة عن حياة العلامة موفق الدين بن قدامة فعليك بالمراجع الآتية :

١ - ذيل الروضتين لأبي شامة الشافعي ص ١٣٩ وما بعدها .

٢ - فوات الوفيات ٤٣٣/١ ، ٤٣٤ .

٣ - مرآة الزمان ٦٢٧/٨ ، ٦٣٠ .

٤ - المعبر ٧٩/٥ .

٥ - شذرات الذهب ٨٨/٥ - ٩٢ .

٦ - دول الإسلام ٩٣/٢ .

وغيرها من المصادر التي تحدثت عنه رحمه الله

بين يدي الكتاب

والكتاب الذي بين يديك - أيها الفارسي - سماه مؤلفه بكتاب « الاعتقاد » .

ذلك لأنه يحدثنا فيه عن أصول عقيدة المسلم وماتحدث عنه من إلهيات ، ونبوات ، وسمعيات . وقد كتبه بأسلوب سهل ميسر لاتعقيد فيه ، وسار في منهجه على مااعتمده أهل السنة والجماعة في كل موضوعات الكتاب .

وهذا الأسلوب شبيه بأسلوب الإمام ابن تيمية في كتابه « العقيدة اللواسطية » وبأسلوب الإمام ابن القيم في « قصيدته النونية » .

والحق أنه كتاب ينفع طلاب العلم والمعرفة ، ويدلهم على معرفة عقيدتهم الصافية .



توثيق نسبة الكتاب لابن قدامة

وبالرجوع إلى كتب التراجم تؤكد صحة نسبة الكتاب إلى العلامة ابن قدامة المقدسى فقد ذكره الحافظ ابن رجب الحنبلى فى الذيل على الروضتين « ١٣٩/٢ » باب ذكر تصانيفه، وكان مما قاله : فمن تصانيفه - يعنى ابن قدامة - فى أصول الدين « البرهان فى مسألة القرآن » جزء ، « جواب مسألة وردت من « صرخد فى القرآن » ، و « الاعتقاد » .

كما ذكره الذهبى العلامة فى كتابه « سير أعلام النبلاء » « ١٦٨/٢٢ » فقال : « صنف » المغنى فى عشر مجلدات و « الكافى » و « المقنع » و « مختصر الهداية » و « الاعتقاد » .

وذكره العلامة العماد الحنبلى فى كتابه « شذرات الذهب » « ٩٠/٥ » قائلاً : قال العلامة ابن رجب : كان - أى ابن قدامة المقدسى - كثير المتابعة للمنقول فى باب الأصول وغيره ، ولا يرى إطلاق مالا يؤثر من العبارات ، ويأمر بالإقرار والإمرار لما جاء فى الكتاب والسنة من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تأويل ولا تعطيل .

ومن تصانيفه فى أصول الدين « مسألة العلو » و « الاعتقاد » .
وبهذا نكون قد أكدنا توثيق نسبة كتاب « الاعتقاد » لمؤلفه .



منهج التحقيق

هذا وقد سرت في تحقيق هذا الكتاب على المنهج التالى :

- ١ — قمت بضبط الآيات القرآنية وعزوها إلى سورها .
- ٢ — خرجت الأحاديث النبوية من مظانها ، وبينت درجتها من الصحة والضعف وغيره .
- ٣ — فسرت ماغض من الألفاظ العربية الواردة في الكتاب .
- ٤ — فصلت ماأجمله المؤلف في كثير من موضوعات الكتاب .
- ٥ — وضعت عناوين لموضوعات الكتاب تيسيراً على القارئ .
- ٦ — قدمت للكتاب ، وترجمت لصاحبه ليتعرف القارئ على شخصيته ودرجته العلمية .
- ٧ — وضعت علامات الترقيم ليعلم القارئ بداية الجمل ونهايتها .

والله أسأل أن/يتوفانا على كلمة « الإخلاص » وأن يحشرنا تحت لواء خاتم النبيين ، وأن يجعل عملي هذا في ميزان الحسنات ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عادل عبد المنعم أبو العباس

الجيزة/ في : ١١ من ربيع الأول سنة ١٤١٠هـ
١١ أكتوبر سنة ١٩٨٩م

الاعتراف

للإمام العلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المحمود بكل لسان ، المعبود في كل زمان ، الذي لا يخلو عن علمه مكان ، ولا يشغله شأن عن شأن ، جل عن الأشباه ^(١) والأنداد ^(٢) ، وتنزه عن الصاحبة والأولاد ، ونفذ حكمه في جميع العباد ، لا تمثله العقول بالتفكير ، ولا تتوهمه ^(٣) القلوب بالتصوير ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ^(٤) . له الأسماء الحسنى ^(٥) ، والصفات العلى ^(٦) ، ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ ^(٧) . أحاط بكل شيء

(١) الأشباه : النظائر والمائلة . يقال : أشبه الشيء الشيء مائله ، والشبه المثل . وشبه عليه الأمر أيهمه حتى اشبهه بغيره ، وشبه الشيء بالشيء : مثله به . وتشبه بغيره : مائله وجاراه . واشبهه وتشابه بمعنى تماثل وأشبه بعضه بعضاً . قال تعالى : ﴿ وَالزُّيُونُ وَالرُّمَانُ مَشْبَاهُ وَغَيْرَ مِثْلِهِ ﴾ وقال جل من قائل : ﴿ فَيَتَبَنَّى مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْنُ الْفِتْيَةِ وَابْنُ الْفِتْيَةِ تَأْوِيلُهُ ﴾ أي ماتمائل فاحتاج إلى تمييز ونظر ، فهم يتبعونه للجدال والخلاف . و﴿ تشابهت قلوبهم ﴾ أي تماثلت في الضلال . انظر المعجم القويم للقرآن الكريم ٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٢) الأنداد : جمع ند ، وهو المثل والنظير قال تعالى : ﴿ فَلَا تَحْمِلُوا اللَّهَ أَنْدَاداً ﴾ أي أمثلاً شركاء . (٣) التوهم عند المناطق هو إدراك المعنى الخرق للمحسوس . والوهميات هي قضايا كاذبة يحكم بها الوهم في أمور غير محسوسة . (٤) الشورى آية ١١ .

(٥) أسماء الله الحسنى لا يعصها العد ، ولا تحيط بها عقولنا ، وما قاله النبي ﷺ من : « أن الله تعالى تسعا وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » لا يفيد الحصر ، فقد قال في حديث آخر وهو يدعو ربه : « أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك » فدل ذلك على أن أسماء الله تعالى لا يعصها إلا هو تباركت أسماؤه .

(٦) الصفات : جمع صفة ، والصفة هي العلامة المميزة للشيء . يقال : وصفه بصفه وصفا وصفة . ذكر نعوتة وخصائصه وعلاماته التي يعرف بها .

وفي القرآن قوله سبحانه : ﴿ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْفَقُونَ ﴾ أي تعالى عن الوصف الذي يصفونه به مما لا يليق بكماله كوجود شريك له ، أو ابن أو غير ذلك من صفات النقص .

(٧) سورة طه الآية : ٥ - ٧ .

علماً ، وقهر كل مخلوق ^(١) عزة وحكماً ، ووسيع كل شيء رحمة وعلماً
﴿ يَغْلُمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عَلَماً ﴾ ^(٢) .



(١) قهر : غلب ، يقال يقهره قهراً : غلبه وأذله ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ والقاهر :
اسم فاعل بمعنى المسيطر على الخلق ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ .
والقهار : اسم من أسماء الله الحسنى ، وهو صيغة مبالغة .

(٢) طه آية ١١٠ .

صفات الله وأقوال أهل السنة فيها

موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم ، وعلى لسان نبيه الكريم .
وكل ماجاء في القرآن ، أو صحَّ عن المصطفى عليه الصلاة والسلام من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول ، وترك التعرض له بالرد والتأويل ، والتشبيه والتخيل . وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً وترك التعرض لمعناه ، ونرد علمه إلى قائله . ونجعل عهده على ناقله اتباعاً لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١) . وقال في ذم مبتغى التأويل لمشابهة تنزيله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٢) فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيف وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم ، ثم حجبه عمّا أملوه ، وقطع أطماعهم عمّا قصدوه بقوله سبحانه : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٣) قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل (٤)

(١) آل عمران : ٧ وهذا هو مذهب السلف في آيات الصفات ، ومذهب الخلف التأويل من غير تشبيه ولا تمثيل ، والعلماء يقولون : رأى السلف أسلم ، ورأى الخلف أحكم .
(٢) سورة آل عمران آية ٧ وهذه الآية الكريمة تقرّر أن القرآن فيه محكم وفيه متشابه ، وانحكم لايتأتى فيه الجدل والمراء ، والمتشابه يتأتى فيه المراء والجدال ، ودعاة الفتنة في كل عصر لايعمدون إلى المحكم من القرآن الكريم إذ أنهم لايجدون فيه بغيتهم ، وإنما يعمدون إلى المتشابه ، فيأخذون منه ما يريدون ، وهم أولئك الذين في قلوبهم مرض وزيف ، أما أنصار الحق الأبلج فهم يعلمون أن الله إنما أنزل المتشابه ليعتلي الناس به ويخلق معه طريقاً واضحة ورسم معه منهجاً قويمًا لمن أراد أن يستقيم . فمن استعصم بالحق رد المتشابه إلى المحكم لأنه أم الكتاب ، وحل آيات العقائد المتشابهة على مايفهمه من آيات العقيدة المحكّمة ثم هو محكوم أيضاً في جانب العقيدة بقانون عام ، ومحكوم عقلاً بوجوب تقديس الله الخالق المديّر هذا الكون ، فإذا استغلق الأمر على المراء كأن يريد أن يفهم من القرآن أو النص حقيقة مراد الله رد ذلك كله إلى الله إذا أنه لايعلم مآل كل شيء وحقيقته إلا الله ، والعلماء حول قضية المتشابه وإمكان فهمه منقسمون فمنهم من يرى أن المتشابه لايعلمه إلا الله ، ومنهم من يرى أن الله يعلمه والراسخون في العلم يعلمونه كذلك ويؤيد الرأي الثاني حجة عقلية مفادها أن خطاب الله عز وجل للناس يجب أن يكون مفهوماً كله وإلا فإننا لا نجد معنى لخطاب الناس بما يجهلون .

(٣) آل عمران آية : ٧ .

(٤) هو الإمام العلامة شيخ الإسلام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أحد أعلام الإسلام ، ولد - رضى =

رضى الله عنه - في قول النبي ﷺ « إن الله ينزل إلى سماء الدنيا »^(١) و « أن الله يُرى يوم القيامة »^(٢) .. وما أشبهه^(٣) : هذه الأحاديث تؤمن بها ، ونصدق بها ، لا كيف ولا معنى ، ولا نرد شيئاً منها ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ، ولا نرد على رسول الله ﷺ ، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حِد ولا غاية^(٤) ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ونقول كما قال ، ونصفه بما وصف به نفسه ، لانتعدي ذلك ، ولا يبلغه وصف

= الله عنه - ببغداد في شهر ربيع الأول سنة ١٦٤ هـ ، ونشأ بها يتيماً فقد ذكر هو أنه لم ير أباه ، فقد مات وهو لم يبلغ درجة الإدراك بالرؤية ، وتولت أمه تربيته برعاية عمه ، ووجهته إلى طلب العلم منذ نشأته ، وقد ظهرت عليه منذ اليوم الأول لسماع العلم علامات النجابة والتقوى ، وأخذ علمه عن كبار علماء عصره من أمثال إبراهيم بن سعد ، وإسماعيل بن علية ، وغيرهما من العلماء الثقات وتفوق أحمد بن حنبل حتى صار علماً بارعاً يشار إليه بالبنان ، وأستاذاً يلتف حوله الأذكياء من التلاميذ ، فقد تتلمذ على يديه أئمة عظام منهم الإمام البخارى ، والإمام مسلم ، والإمام أبو داود وغيرهم ، وقد ابتلى أحمد في نهاية حياته ، واحتمل من المكاره ما يوء بحمله غير أولى العزم من الأنقياء ، وذلك في قضية « القول بخلق القرآن .. التى أشاعتها البعض من أهل البدع . وللإمام أحمد مؤلفات من أعظمها « المسند » و « الزهد » وغيرهما . مات رحمه الله سنة ٢٤١ هـ . له ترجمة في حلية الأولياء لأبى نعيم ١٦١/٩ ، وطبقات الحنابلة ٤/١ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤٣١/٢ ، ومهذب التهذيب لابن حجر ٧٢/١ .

(١) إشارة إلى الحديث الصحيح المتفق/ على صحته قوله ﷺ : « ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ » .

(٢) يشير بهذا الجزء إلى الحديث الصحيح الذى أخرجه البخارى ومسلم ولفظه : كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال : « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لاتقلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ثم قرأ : ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ (طه الآية ١٣٠) ، وهناك أحاديث أخرى تتحدث عن الرؤية وغيرها من الأحاديث التى توضح نظر العبد إلى ربه يوم القيامة .

(٣) أى من الأحاديث التى تتحدث عن صفات إلهه العظيم تبارك وتعالى كقوله ﷺ : « لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن التائب من أحدكم براحلته » (متفق عليه) . وقوله : « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يَدْخُلُ الجنة » (متفق عليه) وقوله : « لا تزال جهنم يلقى فيها وهى تقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة فيها رجلاً فينزوى بعضها إلى بعض فتقول : هل من مزيد » (متفق عليه) وما أشبهها .

(٤) انظر مقولة أحمد بن حنبل التى بين يديك فى مختصر الصواعق المرسلة لابن الموصلى ٢٥١/٢ ، ومناقب أحمد للإمام ابن الجوزى ص ١٥٦ ، وترجمة الإمام أحمد من تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ص ٢٧ ط دار الوعى بخلب .

الواصفين ، نؤمن بالقرآن كله محكمة ومتشابهه ، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ، ولا نتعدى القرآن والحديث ، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن .

قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي^(١) - رضى الله عنه : « آمنتُ بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله وعلى هذا درج^(٢) السلف وأئمة الخلف - رضى الله عنهم -

= بقى لنا أن نقول : اعلم أن الإمام أحمد بن حنبل - رضى الله عنه - رأى حوله فرقاً كثيرة أخذت تتناظر فيما بينها وتنتشر عن طريق هذه المناظرات أفكارها الخاصة بين المسلمين ، وكان من هذه الفرق من حكم العقل في النص ، فإن كان النص قرآناً متعارضاً مع ما وضعه من أصول فإنه يأخذ في تأويله بما يتفق مع هذه الأصول والقواعد ، وإذا كان النص حديثاً نبوياً ، فإنه إذا استطاع تأويله أوله ، وإذا عجز عن ذلك رفضه ، وطعن في الحديث سنداً ومتناً ، ومنهم من كان يأخذ بمبدول اللفظ ، وبمعناه المتبادر منه ، فكان يصف الله تعالى بما يقتضى تشبيهاته بمخلوقاته .

فرأى الإمام أحمد الخطر الشديد على النص ، من قرآن وسنة ، وعلى العقيدة أيضاً . لذلك أعلن عقيدة أهل السنة والجماعة ، وأظهر مذهب السلف ، وكانت هذه العقيدة تلخص في الإيمان والتسليم بما جاء وصفاً لله تعالى على مراد الله تعالى ، ومراد رسوله - ﷺ فكان الإمام أحمد يصف الله بما وصف به نفسه بلا تأويل ولا تشبيه ، وكان يقرأ الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب ولا يزيد على ذلك ، وكان يرى أن تفسيرها قراءتها والسكوت عليها . فمقننه - رضى الله عنه - إنما هي إيمان وتسليم بكل ما جاء في الكتاب والسنة ، وتفويض المعنى إلى الله ، ولكن روى أن الإمام أحمد أجاز التأويل في بعض المواضع ، وكانت عقيدته رداً على الفرق الأخرى التي حكمت العقل في النصوص ، وفسرتها على حسب أهوائها ، وضلت بذلك سواء السبيل .

(١) هو الإمام العلامة شيخ الإسلام محمد بن إدريس الشافعي القرشي ، ولد رضوان الله عليه - سنة ١٥٠هـ بغزة في السنة التي توفي فيها الإمام الأعظم أبو حنيفة بن النعمان ، ولقد مات والد الشافعي ، وما زال هو في مهده ، فنشأ يتيماً فقيراً ، ولكنه غوض بأمه التقية المؤمنة التي قامت برعايته والعناية به ، فذهبت به إلى العلماء ، فحفظ القرآن ، ودرس الحديث والفقه ، وبرع في العلم بطريقة لا مثيل لها ، ولما بلغ العشرين من عمره ذهب إلى إمام دار الهجرة مالك بن أنس وتلقى على يديه ، وأعجب به مالك رضى الله عنه - إعجاباً باهراً تتلمذ على يد الشافعي الإمام أحمد بن حنبل ، والربيع بن سليمان ، وأبو ثور ، وخلق غيرهم . وقد مدحه شيوخه وتلاميذه فقد قال الربيع بن سليمان : كان الشافعي يفتي وله خمس عشرة سنة ، وكان يحكى الليل إلى أن مات ، توفي رحمه الله في آخر رجب سنة ٢٠٤هـ . له ترجمة في البداية والنهاية لابن كثير ٢٥١/١٠ ، وتذكرة الحفاظ ٣٦١/١ ، وطبقات المفسرين للدوادى ٩٨/٣ .

(٢) درج : أى مات ، والمراد مات السلف ، وهم على هذا الاعتقاد . يقال : درج قرن بعد قرن ، وهذه آثار قوم درجوا أى انقرضوا ، ودرج فلان أى مات وما ترك نسلأ ، ويقال : استدعىهلكته من درج إذا مات .

كلهم متفقون على الإقرار والإمرار^(١) والإنبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله ، وقد أمرنا بالاعتفاء لأنهم ، والاهتداء بمنارهم ، وحُدِّرنا المحدثات ، وأخبرنا أنها من الضلالات . فقال النبي ﷺ :

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عُصَّوًا عليها بالنواجد وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة»^(٢) .

وقال عبد الله بن مسعود^(٣) - رضى الله عنه : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم »^(٤) .

(١) الإمرار : الإحكام والأصالة يقال : إنه لذو مرة : أى عقل وأصالة وإحكام ، والمعنى أن أهل السنة يقرون بما أثبتته الله لنفسه ولا يشبهون ولا يبحثون عن معنى آيات الصفات بل يؤمنون بها على حقيقتها بدون تأويل .

(٢) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ١٥/١ ، ١٦ ، والدارمي في المقدمة باب اتباع السنة ٤٤/١ ، ٤٥ ، وأبو داود في كتاب السنة باب في لزوم السنة ٢٦١/٢ ، والحاكم في مستدركه كتاب العلم ٩٦/١ ، ٩٧ ، وأحمد في المستدر ١٢٦/٤ ، ١٢٧ ، وانظر صحيح الجامع حيث صححه الألباني ٤٩٩/١ ، ومعنى قوله : «الواجد» الأضراس ، قيل : أراد به الجدل في لزوم السنة كفعل من أمسك الشيء بين أضراسه وعُض عليه منعاً من أن ينتزع .

(٣) هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذلي صاحب رسول الله ﷺ وخادمه ، وأحد السابقين الأولين ، ومن كبار البدرين ، ومن نبلاء الفقهاء المقرئين ، كان ممن يتحرى في الأداء ، ويشدد في الرواية ، ويحذر تلامذته عن التهاون في ضبط الألفاظ ، وكان من أوعية العلم وأئمة الهدى . مات - رضوان الله عليه - بالمدينة سنة ٣٢ هـ وله نحو من ستين سنة . انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ٣٣/١ ، وطبقات القراء لابن الجوزي ٤٥٨/١ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ١٤ .

(٤) الأثر صحيح . أخرجه الدارمي في المقدمة باب في كراهية أخذ الرأي ٦٩/١ ، والطبراني في المعجم الكبير ١٦٨/٩ . ووكيع في الزهد رقم ٣١٥ ، وأحمد في الزهد ص ٢٠٢ ، وانظر كتاب « الباعث على إنكار البدع والحوادث » لأبي شامة الشافعي ص ٢٤ بتحقيقنا ، من إصدار مكتبة ابن سينا .

وقال عمر بن عبد العزيز^(١) - رضى الله عنه - كلاماً معناه^(٢) : « قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا ، وبصر نافذ كفوا^(٣) ، ولهم على كشفها كانوا أقوى ، وبالفضل^(٤) لو كان فيها أخرى ، فلتن قلم حدث بعدهم ، فما أحدثه إلا من خالف هديهم ، ورغب عن سنتهم ، ولقد وصفوا منه ما يشفى ، وتكلموا منه بما يكفى ، فما فوقهم محسر^(٥) ، وما دونهم مقصر ، لقد قصر عنهم قوم فجفوا^(٦) ، وتجاوزهم آخرون فغلوا^(٧) ، وإنهم فيما بين ذلك لعللى هدى مستقيم » .

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي^(٨) - رضى الله عنه - : « عليك بآثار من

(١) هو الخليفة الراشد ، والإمام العدل العابد ، عمر بن العزيز بن مروان بن الحكم الأموي أمير المؤمنين ، والتابعي الثقة . روى عن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، وصلى أنس خلفه ، وقال : مارأيت أحداً أشبه صلاة رسول الله ﷺ من هذا الفتى . وروى عن الربيع بن سبرة والسائب بن زيد ، وسعيد بن جبيرة . قال ابن سعد : كان عمر بن عبد العزيز ثقة مأموناً ، له فقه وعلم وورع ، وروى حديثاً كثيراً ، وكان إمام عدل . شديد الخوف من الله ، غزير الدمعة من خشية الله ، ملك ستين وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً ، ومات يوم الجمعة لعشر بقين من رجب سنة إحدى ومائة ١٠١ هـ . له ترجمة في تذكرة الحفاظ للدهلي ١١٨/١ ، وحلية الأولياء ٢٥٣/٥ . وصفة الصفوة لابن الجوزي ٦٣/٢ ، وتاريخ الخلفاء لسيوطي ص ٢٢٨ .

(٢) هذا الكلام موجود بأصله في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي باب السادس عشر باب في ذكر مذهبه واعتقاده ص ٨٣ ، ٨٤ . وأصله رسالة بعث بها الخليفة الراشد إلى بعض عماله يوصيه باتباع سنة رسول الله ﷺ . ويهاه عن مخالفة ذلك ويحثه على السير على آثار أنسب الصالح رضوان الله عليه .

(٣) كفوا : أى امتنعوا عن حوص .

(٤) المقصود بالفضل هنا الزيادة ، والمعنى أنه لو كان في الأمر زيادة على ما عرفوه لكانوا أكثر الناس مسارعة إلى معرفته والعمل به .

(٥) محسر : المزيد على الحاجة ، وكل ما زاد عن حده انقلب إلى ضده .

(٦) جفا يَجْفُو جفاء : تباعد ، وتجاو : تكلف الجفاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ أى تتباعد عن المضاجع لمرجه رغبة في قيام الليل لتتجدد لله خوفاً منه وطعماً في رحمته .

(٧) غلوا : الغلو هو تجاوز الحد قال تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾ أى لا تبالغوا فيه ، فتجعلوا المسيح إلهاً أو ابن إله بسبب شدة حبكم إياه .

(٨) هو الإمام العلامة عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي المكنى بأبي عمرو إمام أهل الشام في وقته ، نزيل =

سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول ^(١) :

وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي ^(٢) لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها :
هل علمها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ^(٣) ؟ أو لم يعلموها ؟ .

قال : لم يعلموها ...

قال : فشيء لم يعلمه هؤلاء علمته أنت ؟ .

قال الرجل : فإني أقول قد علموها ..

قال : أفوسعهم أن لا يتكلموا به ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم ؟ .

قال : بلى وسعهم .

قال : فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه لا يسعك أنت ؟ !

فانقطع الرجل .

فقال الخليفة - وكان حاضراً - : لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم .

وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان

والأئمة من بعدهم والراسخين ^(٤) في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة

أخبارها وإمرارها كما جاءت فلا وسع الله عليه .

= بيروت ولد - رحمة الله تعالى عليه - سنة ثمان وثمانين من الهجرة المباركة ، وتلقى العلم حتى صار علماً بارعاً قوى الحجّة تقياً ، أخذ العلم عن عطاء ، ومكحول ، وابن سيرين ، وتلمذ على يديه الإمام الأعظم أبو حنيفة بن النعمان ، والزهرى ، وشعبة ، وخلق . قال عنه ابن عيينة : كان الأوزاعي إمام أهل الزمان . وقال ابن سعد : كان الأوزاعي ثقة ، مأموناً ، صدوقاً فاضلاً ، خيراً ، كثير الحديث والعلم والفقه ، توفي سنة ١٥٧ هـ انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ١/١٧٨ ، وعهذيب التهذيب ٦/٢٣٨ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٨٥ .

(١) انظر الأثر في سنن الدارمي باب اتباع السنة وإجتنب البدعة .

(٢) هو الإمام العلامة محمد بن عبد الرحمن الأدرمي أحد علماء السنة وشيوخ الإسلام .

(٣) سوف تأتي ترجمتنا قريباً للخلفاء الأربعة - رضوان الله تعالى عليهم - وبيان مزايهم وفضائلهم .

(٤) الراسخون : جمع راسخ ، وهو كل من له باع طويل ، وفهم غزير ، وفقه كبير في دين الله تبارك

وتعالى ، وفي علوم الإسلام كل في مجال فنه وتخصصه الذي وفقه الله للتفوق فيه .

ما جاء في القرآن والسنة من آيات الصفات

- فما جاء من آيات الصفات قول الله عز وجل : ﴿ وَيَقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ^(١) وقوله سبحانه : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ^(٢) .
- وقوله تعالى إخباراً عن عيسى عليه السلام أنه قال : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَغْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ^(٣) .
- وقوله سبحانه : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ ^(٤) .
- وقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾ ^(٥) .
- وقوله : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ ^(٦) .
- وقوله ﴿ يَحْبُوهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ^(٧) .
- وقوله في الكفار : ﴿ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٨) .
- وقوله : ﴿ أَتَّبِعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ ﴾ ^(٩) .
- وقوله : ﴿ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ ﴾ ^(١٠) .

(١) الرحمن آية ٢٧ . وقد أثبت أهل السنة لله ما أثبتت لنفسه في هذه الآية من غير تمثيل ولا تشبيه فهم يقولون : تضمنت هذه الآية إثبات صفة الوجه لله تعالى ، والنصوص في إثبات الوجه من الكتاب والسنة لا تحصى ، والذي عليه أهل الحق أن الوجه صفة لا يقتضى إثباته كونه تعالى مركباً من أعضاء كما يقوله الجهمية ، بل هو صفة لله على ما يليق به فلا يشبه وجهها ولا يشبه وجه . وأول الخلف الآية فقالوا : إن المراد بالوجه الذات .

(٢) المائدة آية ٦٤ . وقال السلف فيها كالأية السابقة ثبت لله هدأ كما أثبتنا لنفسه من غير تشبيه ولا تمثيل . وقال الخلف إن المراد باليد القدرة أو النعمة ، وكذلك القول . في الآيات الأخرى السلف يثبتون دون سؤال عن معنى الآية ، والخلف يؤلون من غير تشبيه ولا تمثيل ، ورأى الخلف أحكم ورأى السلف أسلم .

(٣) المائدة : ١١٦ .

(٤) الفجر : ٢٢ .

(٥) البقرة : ٢١٠ .

(٦) المجادلة : ٢٢ .

(٧) المائدة : ٥٤ .

(٨) الفتح : ٦ .

(٩) محمد : ٢٨ .

(١٠) التوبة : ٤٦ .

== هذا وللإمام أبي حامد الغزالي كلام نفيس في المنهج الأمثل مع الخلق في مواجهة النصوص الموهمة للتشبيه فقد قال رحمه الله في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٤٧ : « الكلام على الظواهر الواردة في هذا الباب طويل ، ولكن نذكر منهجاً في هذين الظاهرين - بقصد آية وحديث تحدث عنهما - وهو أنا نقول : الناس في هذا فريقان : عوام ، وعلماء ، والذي نراه اللائق بعوام الخلق أن لا يخاض بهم في هذه التأويلات ، بل ننزع من عقائدهم كل ما يوجب التشبيه ، ويدل على الحدوث ، ونحقق عندهم أنه موجود ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فإذا ماسألوا عن معاني هذه الآيات زجروا عنها وقيل لهم : ليس هذا بعشكم فادرجوا فلكل علم رجال ، ويجاب بما أجاب به مالك بن أنس - رضى الله عنه - وبعض السلف حيث سئل عن الاستواء فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب . وهذا لأن عقول العوام لا تتسع لقبول المعقولات ، ولا إحاطتهم باللغات تتسع لفهم توسعات العرب في الاستعارات وأما العلماء فاللائق بهم تعرف ذلك وتفهمه ، ولست أقول إن ذلك واجب وفرض عين . إذ لم يرد به تكليف ، بل التكليف التنزيه عن كل ما يشبهه بغيره » أهـ .

والحق أن هذا الكلام الذي قرره الإمام الغزالي ، هو الذي نحسبه إن شاء الله أقرب إلى الصواب وقريب من كلام الغزالي مافقره الإمام ابن الجوزي حيث إنه يرى أن الأخذ بظاهر الآيات تشبيه ونجسيم ، إذ أن ظاهر اللفظ هو ما وضع له ، فلا معنى للبد حقيقة إلا الجارحة . ويقول : إن مذهب السلف هو السكوت عن الآيات ، وليس أخذها على ظاهرها .

ويقول الإمام الفخر الرازي في كتابه « أساس التقديس » : « وأعلم أن نصوص القرآن لا يمكن إجراؤها على ظاهرها لوجوه :

الأول : أن ظاهر قوله تعالى ﴿ وَلَتَصْنَعُ عَلَى عَيْنِي ﴾ يقتضى أن يكون موسى - عليه السلام - مستقراً على تلك العين ، ملتصقاً بها ، مستعلياً عليها ، وذلك لا يقوله عاقل .

والثاني : أن قوله تعالى : ﴿ وَاصْنَعِ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا ﴾ يقتضى أن يكون آلة تلك الصنعة هي تلك العين وهذا هو رأى الخلف تجاه تلك النصوص .

أما رأى السلف فهو يتلخص في إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفى الكيفية والتشبيه قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل » (العقيدة الواسطية لابن تيمية) وقال الإمام أبو حنيفة في الفقه الأكبر : « ما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه ، واليد ، والنفس ، فهو من صفاته بلا كيف ، ولا يقال : إن يده قدرته أو نعمته ، لأن فيه إبطال الصفة ، ولكن يده صفته بلا كيف » ولا شك أن الفتيين السلف والخلف - هم أهل السنة ، وقد نزهوا الله عز وجل ، واتفقوا على مخالفة الله مخلوقاته ولكن لا بد أن نذكر أن طريقة الخلف أحكم ، وطريق السلف أسلم . وعلى هذا فلا مبرر لتكفير بعض الخلف الذين تأولوا الصفات . قرئى الذى يفسر « يد الله » بقدرته بالكفر تشدد ومغالاة ، لاسيما أن بعض أهل الحديث كابن دقيق العيد ، قد قبل التأويل إذا كان قريباً . ولكن يبقى مذهب السلف هو الذى تطمئن إليه النفوس ، وتنشرح له الصدور .

ومن السنة قول النبي ﷺ : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا » (١)
 وقوله : « يَفْجَبُ ربك من الشاب تيسّت له صبرة » (٢)
 وقوله : « يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلا الجنة » (٣).

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة آخر الليل ٢٠٠/١ ، وفى كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل ١٠١/٤ ، ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب فى الدعاء والذكر فى آخر الليل والإجابة فيه ٥٢١/١ ، ٥٢٢ حديثى ١٦٨ ، ١٦٩ ، وابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ماجاء فى أى الساعات أفضل فى الليل ٤٣٥/١ حديث ١٣٦٦ ، وأحمد فى المسند ٢/٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٨٢ ، ٤١٩ ، ٤٨٧ ، ٥٠٤ ، كما أخرجه الترمذى فى كتاب الصلاة باب ٢١١ ، وأبو داود فى كتاب السنة باب ١٩ ، وتام الحديث : « حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول الله : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، ومن يستغفرني فأغفر له » ، قال الإمام النووى فى شرحه على مسلم : هذا الحديث من أحاديث الصفات ، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء : أحدهما ، وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين ، أنه يؤمن بها وبأنها حق على مايلق بالله تعالى ، وأن ظاهرها المتعارف فى حقنا غير مراد ولا يتكلم فى تأويلها ، مع اعتقاد تنزيه الله عن صفات المخلوق ، وعن الانتقال والحركات ، وسائر سمات الخلق . والثاني : مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف ، وهو أنها تتأول على مايلق بها بحسب مواظبها فعل هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين : أحدهما تأويل مالك بن أنس - رضى الله عنه - وغيره . معناه تنزل رحمته وأمره أو ملائكته كما يقال : فعل السلطان كذا ، إذا فعله أتباعه ، والثاني : أنه على الاستعارة ، ومعناه الإقبال على الداعين بالعطف والإجابة واللفظ .

(٢) إسناده ضعيف . أخرجه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة باب تعجب ربنا من بعض مايصنع عباده مما يتقرب به إليه ص ٢٥٠ ، وقال الألبانى : إسناده ضعيف لسوء حفظ ابن لهيعة ، وانظر أحمد فى المسند ١٥١/٤ وقد ذهب السلف إلى إثبات المحب إلى الله تعالى على حسب مايلق به من غير تأويل ، وقالوا : إن عجبه تعالى ليس ناشئاً عن خفاء فى الأسباب أو جهل بخقائق الأمور كما هو الحال فى عجب المخلوقين بل هو معنى يحدث له سبحانه على مقتضى مشيئته وحكمته وعند وجود مقتضيه وهو الشيء الذى يستحق أن يتمتع منه . وأوّل الخلف المعجب تأويلاً يليق بمقام الحق سبحانه .

(٣) حديث صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد باب الكافر يقتل المسلم كلامهما يدخل الجنة ، ومسلم فى كتاب الإمامة باب بيان الرجلين ، يقتل أحدهما الآخر بدخلا الجنة ١٥٠٤/٣ ، ١٥٠٥ ، حديث ١٢٨ ، ١٢٩ ، وتامه : قالوا : كيف يارسول الله ! قال : « يقاتل هذا فى سبيل الله عز وجل فيشهد ، ثم يحرب الله على القاتل فيسلم ، فيقاتل فى سبيل الله عز وجل فيشهد » .

وهو من أحاديث الصفات . فأهل السنة والجماعة يثبتون الضحك الوارد فى الحديث لله عز وجل على المعنى الذى يليق به ، والذى لايشبه ضحك المخلوقين عندما يستخفهم الفرح أو يستغفروهم الطرب ، بل هو معنى يحدث فى ذاته عند وجود مقتضيه . وذهب الخلف إلى تأويل ضحكه تعالى على المجازية فتأولوه بالرضا والقبول .

فهذا وما أشبهه مما صح سنده ، وعدلت رواته^(١) ، نؤمن به ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره ، ولا نشبهه بصفات المخلوقين ، ولا بسمات المحدثين ، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢) . وكل ما يخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾^(٣) .
وقوله : ﴿أأنتم من في السماء﴾^(٤) .

(١) يعنى بذلك كل الأحاديث الصحيحة فهى التى صح سندها وعدلت رواتها ، فالحديث الصحيح هو الذى اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط ضبطاً تاماً من أول السند إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة قاذحة .

(٢) الشورى آية رقم ١١ .

(٣) طه الآية رقم ٥ . وقد ذهب السلف إلى الإيمان بها على ما هى عليه من غير تشبيه ، ولا تمثيل وقال المتأخرة من الأشاعرة بتأويل الآية على وجه يليق به سبحانه من غير تشبيه ولا تمثيل كذلك ، والإمام الغزالي كلام فى هذا الاستواء ذكره فى كتابه الاقتصاد فى الاعتقاد ١٤٤ ونحن ننقله هنا لبيان رأيه . قال يرحمه الله - « فلنرجع إلى معنى الاستواء والنزول : أما الاستواء ، فهو نسبته للعرش لا بحالة ، ولا يمكن أن يكون العرش نسبة إليه إلا بكونه ، معلوماً أو مردوداً ، أو مقدوراً عليه ، أو محلاً مثل محل العرض ، أو مكاناً مثل مستقر الجسم ، ولكن بعض هذه النسب يستحيل عقلاً وبعضها لا يصلح اللفظ للاستعارة له . أما كونه مكاناً أو محلاً كما للجوهر والعرض فاللفظ يصلح له ، ولكن العقل يحيله كما سبق . وأما كونه مقدوراً عليه ، وواقعاً فى قبضه القدرة ، ومسخراتها مع أنه أعظم المخلوقات ، ويصلح الاستيلاء عليه لأن يمتدح به ، وينبى به على غيره الذى هو دونه فى العظم ، فهذا مما لا يحيله العقل ، ويصلح له اللفظ فأخلق بأن يكون هو المراد قطعاً .

أما صلاح اللفظ له فظاهر عند الخبير بلسانهم ، وإنما تنبى عن مثل هذا أفهام المتطفلين على لغة العرب ، الملتفتين إليها التفات العرب إلى لغة الترك ، حيث لم يتعلموا منها إلا أوائلها فمن المستحسن فى اللغة أن يقال : استوى الأمير على مملكته حتى قال الشاعر :

قد استوى بشراً على العراق من غير سيف ودم مهراق

ولذلك قال بعض السلف - رضى الله عنهم - يفهم من قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان﴾^(٥) .

قلت وهذا هو الواجب على العلماء معرفته ، أما العوام فيجابون بمثل ما أجاب به مالك بن أنس ويزجروا إذا أرادوا معرفة الزيادة .

(٤) يثبت السلف لله ما أثبتة لنفسه من أنه فى السماء من غير تشبيه ولا تمثيل .

ويقوم الخلف بالتأويل لينفوا عنه تعالى كونه بجهة مخصوصة فقالوا :

وقول النبي ﷺ : « ربنا الذى فى السماء تقدس اسمك » (١)

وقال للجارية : « أين الله ؟ » قالت : فى السماء .

قال : « اعتقها فإنها مؤمنة » (٢)

وقال النبي ﷺ لحصين : « كم إلها تعبد ؟ » .

قال : سبعة : ستة فى الأرض وواحد فى السماء .

قال : « من لرغبتك ورهبتك ؟ »

قال : الذى فى السماء .

قال : « فاترك الستة ، واعبد الذى فى السماء ، وأنا أعلمك دعوتين »

فأسلم فعلمه النبي أن يقول : « اللهم ألهمنى رشدى ، وفقى شرى نفسى » (٣) .

نَدْعِي أَنَّهُ تَعَالَى - لَيْسَ فِي جِهَةٍ مَخْصُوصَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ السَّتِ ، وَمَنْ عَرَفَ مَعْنَى لَفْظِ الْجِهَةِ وَمَعْنَى لَفْظِ الْاِخْتِصَاصِ فَهَمَّ قَطْعًا اسْتِحَالَةَ الْجِهَاتِ عَلَى غَيْرِ الْجَوَاهِرِ وَالْأَعْرَاضِ . ذَلِكَ أَنَّ الْجِهَاتِ سِتْ : فَوْقَ ، وَأَسْفَلَ ، وَقَدَامَ ، وَخَلْفَ ، وَبِجَانِبِ ، وَشَمَالًا . فَمَعْنَى كَوْنِ الشَّيْءِ فَوْقًا هُوَ أَنَّهُ فِي حِيزٍ مِنْ جَانِبِ بِلَى الرَّأْسِ ، وَمَعْنَى كَوْنِهِ تَحْتَ أَنَّهُ فِي حِيزٍ بِلَى جَانِبِ الرَّجْلِ ، وَكَذَا سَائِرُ الْجِهَاتِ .

فَإِنْ قِيلَ : إِنْ لَمْ يَكُنْ مَخْصُوصًا بِجِهَةٍ فَوْقَ ، فَمَا بَالُ الْأَيْدِي تَرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ فِي الْأَدْعِيَةِ طَبْعًا وَشَرْهًا قُلْنَا : كَمَا أَنَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِبْلَةُ الصَّلَاةِ ، فَكَذَلِكَ السَّمَاءُ قِبْلَةُ الدَّعَاءِ ، وَالْمَعْبُودُ بِالصَّلَاةِ ، وَالْمَقْصُودُ بِالدَّعَاءِ مَنْزَرَهُ عَنِ الْخُلُوفِ فِي الْبَيْتِ وَالسَّمَاءِ ، وَالْخُلُوفُ أَنْ السَّلَفَ وَالْخَلْفَ يَحَاوِلُ كُلُّ مَنْهُمْ بَرَأْيَهُ أَنْ يَنْزِعَهُ اللَّهُ عَنْ مِثَابَةِ الْحَوَادِثِ .

(١) جزء من حديث ضعيف في إسناده زيادة بن محمد « لين الحديث » وقد رواه الطبراني والبيهقي والحاكم . وأحمد في المسند ٢١/٦ .

(٢) إشارة إلى حديث صحيح . أخرجه مسلم ٢٣/٥ بشرح النووي ، وأحمد في المسند ٤٤٧/٥ ، وهو من رواية معاوية بن الحكم قال فيه : كانت لي جارية ترعى الغنم قبل أحد ، فاطلعت ذات يوم فإذا ذئب ذهب بشاة ، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون ، لكنني صككتها صكة ، فأتيت رسول الله ﷺ ، فعظم ذلك علي ، فقلت : أفلا اعتقها ؟ قال : اتنى بها ، فأتيتها بها فقال لها : « أين الله ؟ » قالت : فى السماء . قال : « من أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله . قال اعتقها فإنها مؤمنة .

وقد قيل في تفسير الحديث : إنها كانت خرساء ، وقيل : قالت ذلك بلسان الحال لا بلسان المقال . والحق أنه يجب أن يزجر العوام عن هذه القضية ، مصداقاً لقول علي : « من أين الأمن لا يقال له أين ، ومن كيف كيف لا يقال له كيف » .

(٣) رواه البيهقي في كتابه الأسماء والصفات . والترمذي في الدعوات ٢٤/١٣ وقال : حديث غريب

وفيما نقل من علامات النبي وأصحابه في الكتب المتقدمة : أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء .

وروى أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال : « إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا » - وذكر الخبر إلى قوله : « وفوق ذلك العرش والله سبحانه فوق ذلك »^(١).

فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله ، ولم يتعرضوا لردّه ، ولا تأويله ، ولا تمثيله

سئل مالك بن أنس^(٢) رضى الله عنه - فقيل : يا أبا عبد الله ! ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ .. كيف استوى ؟

فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . ثم أمر بالرجل فأخرج^(٣).



(١) جزء من حديث طويل أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب في الجهمية ٢٣١/٤ حديث رقم ٤٧٢٣ ، وذكره البيهقي في الأسماء والصفات .

(٢) هو إمام دار الهجرة وشيخ الأئمة مالك بن أنس ، ولد - رحمه الله - سنة ثلاث وتسعين من الهجرة على أصح الأقوال ، وينتهي نسبه من جهة أبيه إلى ملوك « حمير » في الجاهلية ، واختلف القدماء في جدّ أبيه « أنى عامر بن عمرو » فذهب بعضهم إلى أنه صحابي شهد مع النبي ﷺ جميع الغزوات إلا بدرأ ، وقال آخرون : أسلم بعد وفاة الرسول ﷺ . بدأ مالك بالعلم صغيراً ، فأخذ عن كثير من علماء المدينة ، وبرع في العلوم ، حتى صار علماً من أعلام الإسلام ، وإماماً من الأئمة المجتهدين . صنف كتاب « الموطأ » ، وكان كثير الخشية ، متكلماً بالحق ، لاناخذه في الله لومه لائم ، تتلمذ الإمام الشافعي على يديه ، وتأثر به ، كما أخذ عنه أبو يوسف القاضي ، صاحب أنى حنيفة - رضوان الله عليهم جميعاً - ومالك بن أنس أحد تلاميذ نافع بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وكفاه بذلك شرفاً وفخراً .

(٣) في بعض الراويات قال :

« الاستواء معلوم ، والكيف مجهول والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » وقد نسب هذا القول إلى أم المؤمنين عائشة رضوان الله تعالى عليها .

﴿ من صفات الكمال لله ﴾

ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم^(١) يسمعه منه من شاء من خلقه .
 سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة . وسمعه جبريل - عليه السلام -
 ومن أذن له من ملائكته ورسله .

(١) يجعل علماء العقيدة « صفة الكلام » إحدى صفات المعاني الواجبة لله تعالى ، ويعرفونها بقولهم -
 أعني صفات المعاني :- هي صفات ثبوتية قديمة قائمة بذات الله تعالى . ومعنى كونها ثبوتية أنها تثبت له
 - عز وجل - معان تليق بذاته المقدسة . ومن أجل ذلك سميت بصفات المعاني كما سميت بالصفات
 الثبوتية ، وقد اقتصر الخلف من علماء العقيدة عند حديثهم عن هذه الصفات . على سبع صفات ، وهي
 القدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام . لأنها كانت مدار البحث بين علماء
 الكلام ، وإلا فالصفات الثبوتية التي وصف بها - الله - نفسه على لسان رسوله وإخوانه من الأنبياء في كُتُبهِ
 المنزلة عليهم لا تنحصر في هذه السبع ، فقد وصف نفسه - تعالى - بالحي والقدير ، والحكيم ، والعليم ،
 والجبار ، وغير ذلك كثير في آيات القرآن والأحاديث النبوية ، والواجب على المكلف أن يصف الله بما
 وصف به نفسه من الصفات الثبوتية من تنزيهه - سبحانه - عن المماثلة للحوادث .

أما صفة « الكلام » التي نتحدث عنها فقد عرفها العلماء بقولهم : هي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته
 تعالى - ليست بخرف ولا صوت ، منزهة عن التقديم والتأخير والترتيب تدل على جميع الأشياء .
 ونحن نعلم أن الكلام ينقسم إلى قسمين : كلام نفسي ، وكلام حسي .

فالكلام النفسي : هو القول القائم بالنفس الذي تدل عليه العبارات ، وما يصلح عليه من الإشارات .
 أما الكلام الحسي : فهو ما يدل على الكلام النفسي من العبارات والإشارات . وقد ذهب أهل السنة إلى
 إثبات الكلام النفسي لله - تعالى - وعرفوه : بأنه صفة قديمة قائمة بذاته - تعالى - منافية للسكوت
 وآلامه يدل عليها بالعبارة والكتابة والإشارة . فإذا عبر عنها بالعربية فالقرآن ، أو السريانية فالإنجيل ، أو
 العبرانية فالتوراة . والمعنى أن المدلول واحد ، وهو الصفة القديمة القائمة بذاته ، وإن اختلفت العبارات .
 واستعمال الكلام في المعنى القائم بالنفس أسلوب جرى عليه لسان العرب . تقول : « كان في نفسي
 كلام ، وزورت نفسي ، أو كما قال الأخطل :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما لجمل اللسان على الفؤاد دليلاً

وقد ذهبت المعتزلة إلى إنكار الكلام النفسي ، وزعموا أن الكلام ليس إلا الأصوات والحروف . فنفوا
 كلاماً قائماً بالنفس لله تعالى . ورد عليهم أهل السنة بقولهم : إن هذه الحروف والأصوات إنما هي عبارة
 عن الكلام الحسي ، ونحن لانكره ، ولكننا نثبت وراءه معنى قائماً بالنفس هو صفة قديمة لله يدل عليه
 بالعبارة كما يدل عليه بالكتابة والإشارة ، ومن هنا كان كلامه تعالى مسموعاً بأذاننا مقروءاً بالأسنان ،
 مكتوباً في مصاحفنا . ومعنى ذلك أن المسموع والمكتوب هو الكلام الحسي الدال على الكلام النفسي
 وليس هو الكلام النفسي بذاته .

وأنه - سبحانه - يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه ، ويأذن لهم فيزورونه .^(١)

قال الله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾^(٢) .

وقال سبحانه : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾^(٣) .

وقال سبحانه : ﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾^(٤) .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾^(٥) .

وقال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا أَنَا هَا نُودِيَ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾^(٦) .

وقال : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾^(٧) .

وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله .

وقال عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه : « إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء »^(٨)

= هذا ، وقد استدلل علماء العقيدة من أهل السنة والجماعة على ثبوت الكلام لله - تعالى - بالنقل والعقل ، أما النقل : فقد ذكر المؤلف - رحمه الله - الآيات الدالة على ذلك كقوله سبحانه : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ وأما العقل : فإنه يقال : لو لم يتصف الله بالكلام لاتصف بالضد وهو البكم ، والبكم نقص يستحيل عليه . وخلاصة الأمر أنه يجب عليك - أيها المسلم - أن تثبت لله صفة الكلام ، وأن تجزم أن الكلام الإلهي ليس ألفاظاً تصنعها الشفتان واللسان ، وتضبطها الرئتان والحنجرة والأسنان ، فذاك شأن الإنسان لا وصف الرحمن فهو تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

(١) وردت أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ توضح زيارة المؤمنين ربهم يوم القيامة ومن ذلك ما رواه الإمام .

(٢) النساء : ١٦٤ .

(٣) الأعراف : ١٤٤ .

(٤) البقرة : ٢٥٣ .

(٥) الشورى : ٥١ .

(٦) طه : ١١ .

(٧) طه : ١٤ .

(٨) يشير بهذا إلى حديث صحيح أخرجه أبو داود في سننه ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، وأورده =

رَوَى ذَلِكَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ .

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « يَخْشُرُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِرَاقَ حَفَاةٍ غُرْلًا بُهْمًا ، فَيَنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ مَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ . أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدِّيَّانُ » ^(١) .

وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةَ رَأَى النَّارَ ، فَهَالَتْهُ ، فَقَرَعَ مِنْهَا فَنَادَاهُ رَبِّهِ : يَا مُوسَى ! .

فَأَجَابَ سَرِيعًا اسْتِثْنَا سَا بِالصَّوْتِ فَقَالَ : لَبِيكَ لَبِيكَ ، أَسْمِعْ صَوْتَكَ وَلَا أَرَى مَكَانَكَ ، فَأَتَيْنَ أَنْتَ ؟ .

فَقَالَ : « أَنَا فُرُوقُكَ وَأَمَامُكَ ، وَعَنْ يَمِينِكَ ، وَعَنْ شِمَالِكَ » ^(٢) .
فَعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ لَا تَبْنِي إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ : كَذَلِكَ أَنْتَ يَا إِلَهِي ، أَفَكَلَامُكَ أَسْمِعْ أَمْ كَلَامُ رَسُولِكَ ؟

قَالَ : « بَلْ كَلَامِي » ^(٣) .



= السُّيُوطِيُّ فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ ، وَالْأَثْبَانِي فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ ١٣٨/٢ حَدِيثٌ رَقْمُ ٤٣٦ ، وَالسَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ ١٢٩٣ . وَلَفْظُهُ كَامِلًا عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا صَلَاةَ كَجَرِ السَّلْسَلَةِ عَلَى الصِّفَا ، فَيَصْهَقُونَ ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ ، فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ فَيَقُولُونَ : يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : الْحَقُّ ، فَيَقُولُونَ : الْحَقُّ الْحَقُّ » .

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ٤٣٨/٢ وَقَالَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يَخْرُجَاهُ ، وَأَحْمَدُ ٣٣٢/٢ ، وَذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي الْبَهْرَةِ الْمُسَافِرَةِ بَابُ ٩٥ حَدِيثٌ ١٦ .

(٢) لَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذِهِ الْأَوْصَافَ تَعْنِي أَنَّهُ مَعَهُ وَمَعْنَى - تَبَارَكَ اسْمُهُ - بِعِلْمِهِ ، فَاحْذَرِ أَنْ تَفْهَمَ عَكْسَ هَذَا ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَنَزَهُ عَنِ الْخُلُولِ فِي هَذِهِ الْجِهَاتِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَا كُنْتُمْ ﴾ بِالْعِلْمِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا خَطَرَ بِيَالِكَ فَاللَّهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ .

(٣) وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ مُوسَى حَقِيقَةً بَدُونِ وَاسْطَةِ ، وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ وَهُوَ مَا تُشِيرُ إِلَيْهِ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ .

﴿ القرآن كلام الله ﴾

ومن كلام الله - سبحانه - القرآن العظيم ، وهو كتاب الله المبين وحبله المتين ، وصراطه المستقيم ^(١) ، وتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلب سيد المرسلين ، بلسان عربي مبين ، منزل غير مخلوق ^(٢) ، منه بدأ

(١) هذا الكلام مقتبس من حديث أخرجه الترمذى فى كتاب فضائل القرآن باب ما جاء فى فضل القرآن ١٧٢/٥ حديث ١٧٠٦ وفيه « هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيف به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد .. قال الترمذى : إسناده مجهول ، وفى الحرث أحد رجال الإسناد مقال .

وأعلم أن للقرآن الكريم تعريفات متعددة ذكرها العلماء فى مظانها ويمكنك مراجعتها فى « الاتقان فى علوم القرآن » للسيوطى ، و« البرهان » للزرکشى ، و« مناهل العرفان » للزرقاتى وغيرها .
(٢) من المعلوم شرعاً أن القرآن كلام الله القديم ، ليس بمخلوق ، وعلى هذا اتفق أهل السنة والجماعة ، ومضى المسلمون على قانون السلف ، من أن القرآن كلام الله ووحى وتنزيله غير مخلوق ، حتى نبعت فرقة من المعتزلة والجهمية فقالوا بخلق القرآن - ويروى أن الجعد بن درهم كان أول من نبى فكرة نفى الصفات الإلهية ، فنفى الكلام عن الله وزعم أن كلامه تعالى حادث مخلوق ، ولذلك قال بخلق القرآن ، وقد أخذ الجعد هذا الكلام الفاسد من أبان بن سميان عن طالوت عن ليبيد بن عاصم اليهودى ، وتبنت المعتزلة آراء الجهم ، واعتنقت فكرة القول بخلق القرآن ، واستطاعوا أن يقنعوا بعقيدتهم هذه المأمون - أحد الخلفاء المشهورين فى الدولة العباسية - وزينوا له أن القول بخلق القرآن عقيدة أساسية وهامة من عقائد الإسلام ، وحرصوه على إمتحان الناس فى عقائدهم ، واستجاب المأمون . وكان مصير من يخالف قول المعتزلة هو التشريد والطرده ، أو السجن والتعذيب ، بل وصل الأمر إلى حد القتل ، وكانت محنة شديدة ذهب ضحيتها خلق كثير من الفقهاء والمحدثين . واستمرت المحنة قائمة فى عصر المأمون والمتصم والواثق ، واشتدت على أهل السنة الذين رفضوا القول بخلق القرآن ، فطال عنتهم ، ولحقهم من التشريد والنكال والعذاب ما لا تقوى عليه إلا نفوس امتلأت بقوة إيمان وصبر فى سبيل عقيدة آمنت بأنها على حق ، وأن مايدعو إليه المعتزلة على باطل .

وكان الإمام أحمد بن حنبل ممن وقف فى هذه المحنة موقف الصامد المدافع عن السنة وأهلها ، الذاب عن مذهب السلف الصالح ضد كل الآراء المبتدعة ، وكان أول ما قيل له بعد أن جاء إلى المأمون مكبلاً بالسلاسل : ما تقول فى القرآن ؟ قال : كلام الله . قيل : أمخلوق ؟ قال : كلام الله ماأزبد على ذلك . فجعلد رضى الله عنه ، وسجن فى حبس ضيق ، ثم حوّل إلى سجن العامة ، ومكث فيه ثلاثين شهراً ذاق خلالها أنواع العذاب والاضطهاد ، ثم أحل سبيله ، ثم سجن مرة أخرى . ووقف رضى الله عنه فى هذه المحنة بصلابة ، وامتنع عن الإجابة على أسئلة المعتنحين بحرف واحد . كما قتل فى هذه القضية عشرات من كبار الفقهاء والمحدثين . والحق أن سلف الأمة مجمع على أن القرآن كلام الله قديم غير مخلوق ، وسأسوق الأدلة على ذلك . فقد قال على بن أبى طالب عندما حكم فى قضية : « ما حكمت مخلوقاً وإنما حكمت القرآن » (راجع شرح السنة ٢٢٨/١) وعن ابن عباس أنه صلى على جنازة فقال رجل : اللهم ربّ القرآن العظيم اغفر له . فقال ابن عباس : « ثكلتك أمك ! إن القرآن منه . إن القرآن منه » ذكره .

ولإيه يعود ، وهو سور محكمات وآيات بينات ، وحروف وكلمات . من قرأه فأعربه ^(١) أفله بكل حرف عشر حسنات ، له أول وآخر ، وأجزاء وأبعاد ، متلو بالأسننة ، محفوظ في الصدور ^(٢) له مسموع بالأذان ، مكتوب في المصاحف ، فيه محكم ^(٣) ومتشابه ^(٤) ، وناسخ ومنسوخ ^(٥) ، وخاص

صاحب شرح السنة ٢٣٠/٢ ، ٢٢٩ ، وقال سفيان بن عيينة : أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون : القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، (ذكره البخاري في خلق أفعال العباد ص ١٧ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٣١٥) وكذلك روى عن علي بن الحسين ، ومالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وحماد بن زيد ، وابن المبارك وأبو حنيفة ، والشافعي ، والبخاري ، ومسلم .. وسلف الأمة جميعاً .

ومن هنا أقول : إن العقيدة الحقّة التي يجب أن يعتقدها المسلم هي الإيمان بأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق وأن مذهب إليه المعتزلة والجهمية باطل ومردود . ويكفي على ذلك فساد أدلتهم وبطلانها .
(١) المراد بإعراب القرآن هنا معرفة ألفاظه ، وليس المراد الإعراب المصطلح عليه ، وهو مايقابل للحن إذ القراءة به ليست قراءة ولا ثواب فيها ، ولذلك قيل : إن إطلاق الإعراب على النحو اصطلاح حادث ، لأنه كان للعرب سحابة لا يحتاجون إلى تعلمه ، وتفسير القرآن لا يعلم إلا بأن يُسمع من النبي ﷺ ، فالإعراب هنا معناه معرفة ألفاظ القرآن وفهمها .

(٢) لم يوجد كتاب على ظهر الأرض ، وجد من العناية مالم يه كتاب الله العظيم ، فقد توافر العلماء في كل عصر ومصر على خدمته ، كل في مجال فنه الذي تخصص فيه ، وهو دليل على مدى إعجاز هذا الكتاب الخالد ، وسيظل الكل يرتشف من بحار أنواره مابقيت السموات والأرض .

(٣) المحكم لغة أصلة المنع تقول : أحكمت بمعنى رددت ومنعت ، والحاكم : المانع لمنعه الظالم من الظلم ، وحكمة اللجام : هي التي تمنع الفرس من الاضطراب .

أما معناه في الاصطلاح : فهو اسم للكلام الذي أحكم المراد منه ، فلا يحتمل النسخ والتبدل . من أحكمت الشيء أتقنته . مثاله : كل آية دلت على توحيد الله وكأله كقوله سبحانه : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ وقوله : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ فإن تلك النصوص محكمة لا يعتريها النسخ . وللعلم : فإن القرآن كله محكم بعد رسول الله ﷺ . أما في حياته ، فكان من الممكن رفع حكمه وتقرير آخر ، حسب حكم الله ، ومراعاته مصالح عباده .

(٤) التشابه لغة : اشتباه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني كما في قوله تعالى في وصف ثمر الجنة : ﴿ وآلوا به فتشابهوا ﴾ أى متفق الناظر مختلف الطعم .

وأما في الاصطلاح معناه أنه : كل ما نقطع رجلاًنا في العلم به على حقيقته ، وذلك كالألفاظ المسندة إلى الله في نحو قوله : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ ، وقوله : ﴿ ويحيي ويقتل ﴾ ، فهذه الألفاظ ونحوها لانعلمها على الحقيقة بل ننسبها إلى الله كما ننسبها لنفسه ، فكما أنه ليس كمثل شيء في ذاته ، فكذلك في صفاته وأفعاله ، فنسب له ما أثبتة لنفسه من غير تحريف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تكيف ، فله يد تليق به ، وله وجه يليق به . أما معرفة ذلك على الحقيقة فهيها هيات .

(٥) معرفة الناسخ والمنسوخ من الأمور المهمة لكل من له صلة بالقرآن الكريم وعلومه ، والنسخ في اللغة :

وعام^(١) ، وأمر ونهى ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ

يَأْتِي بِمَعَانٍ مُتَعَدَّةٍ ، منها الإزالة ومنه قوله تعالى : ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾ (الحج : ٥٢) ويأتى بمعنى التحويل كتناسخ الموارث - يعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد . ويأتى بمعنى التبديل كقوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ﴾ (النحل : ١٠١) هذا وقد قسم العلماء النسخ إلى أربعة أقسام :

(١) نسخ الكتاب بالكتاب .

(٢) نسخ السنة بالسنة .

(٣) نسخ الكتاب بالسنة .

(٤) نسخ السنة بالكتاب .

ولاختلاف بينهم في جواز القسمين الأولين ، ويختلفون في القسمين الآخرين .
فنسخ الكتاب بالكتاب جائز لقوله تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ (البقرة : ١٠٦) .

ولقوله جل اسمه : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزَلُ ﴾ (النحل : ١٠١) .

ونسخ السنة بالسنة جائز وقد وقع حقاً . فعن أبى العلاء بن الشخير : « أن النبى ﷺ كان حديثه ينسخ بعضه بعضاً ، كما ينسخ القرآن بعضه بعضاً » (أخرجه مسلم في كتاب الحيض باب إنما الماء من الماء) .

مثال ذلك : أنه ﷺ نهى أصحابه عن زيارة القبور ، ثم أباح لهم الزيارة قائلاً : « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » . (انظر صحيح الجامع ٤٤٦٠)

أما نسخ الكتاب بالسنة ، فقد قال العلامة ابن عطية : هذا الأمر مختلف فيه ، وحذاق الأمة على الجواز ، وأبى الإمام الشافعى ذلك ، فإنه ذكر عدم الجواز في كتابه « الرسالة » ص ١٣٧ : ١٤٦ .
وكذلك كان الخلاف في نسخ السنة بالكتاب .

وعلى كُلِّ فإن الناسخ والمنسوخ موضوع يجب معرفته والعلم به لأهميته في فهم أصول الإسلام ، وهو موضوع طويل جليل فعلى القارئ الكريم إذا أراد الزيادة في معرفة هذا الموضوع أن يرجع إلى ما كتبه العلماء فيه ، كأبى عبيد القاسم بن سلام في كتابه « الناسخ والمنسوخ » وهبة الله بن سلام « الناسخ والمنسوخ » وهو مطبوع بمحاشية « أسباب النزول للواحدي » ومكى بن أبى طالب في كتابه « الإنجاز في ناسخ القرآن ومنسوخة » وغيرها من المؤلفات .

(١) العام : هو ما تناول أفراداً متحدة الحدود عن طريق الشمول مثل : الرجال .

الخاص : هو ما وضع لواحد منفرداً ، وضعا لغوياً ، سواء كان هذا الواحد واحداً بالجنس كلفظ إنسان في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَخَلْقٍ هَلُوعاً ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفَى خُسْرٍ ﴾ .

أو بالنوع كلفظ رجل في قوله : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْقَى ﴾ .

حكيم حديد ﴿^(١)﴾ قُلْ لَنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿^(٢)﴾ .

وهو هذا الكتاب العربى الذى قال فيه الذين كفروا : ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهِذَا الْقُرْآنِ﴾ ﴿^(٣)﴾ وقال بعضهم : ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ ﴿^(٤)﴾ ، فقال الله سبحانه : ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ ﴿^(٥)﴾ وقال بعضهم : هو شعر . فقال الله : ﴿وَمَا عَلِمْنَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ ﴿^(٦)﴾ .

فلما نفى الله عنه أنه شعر ، وأثبت قرآناً لم يبق شبهة لذى لب ، لأن القرآن هو هذا الكتاب العربى الذى هو كلمات وحروف وآيات لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد إنه شعر .

وقال عز وجل : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿^(٧)﴾ .

ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدري ما هو ولا يعقل .

وقال تعالى : ﴿وَإِذَا تَلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنَادِىَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْكَ نَفْسِي﴾ ﴿^(٨)﴾ فأثبت أن القرآن هو الآيات التى تُلَىٰ عليهم .

أو للشخص كقوله تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ فلفظ محمد سمي به أشخاص كثيرون ومع ذلك فإنه لا يتناول فى هذا المقام ، إلا سيدنا محمد ﷺ .

فالخاص إذا هو : ما يفهم منه معنى واحد على الانفراد بالمعنى اللغوى .

(١) فصلت : ٤٢ .

(٢) الإسراء : ٨٢ .

(٣) سبأ : ٣١ .

(٤) المدثر : ٢٥ .

(٥) المدثر : ٢٦ .

(٦) يس : ٦٩ .

(٧) البقرة : ٢٣ .

(٨) يونس : ١٥ .

وقال تعالى : ﴿ بل هو آياتك بينات في صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ ^(١)
 وقال تعالى : ﴿ إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا
 المطهرون ﴾ ^(٢) .

بعد أن أقسم على ذلك .

وقال تعالى : ﴿ كَفَيْعَصَ ﴾ ^(٣) . / ﴿ حَم . عَمَق ﴾ ^(٤) .

وافتح تسعا وعشرين سورة بالحروف المقطعة ^(٥) .

وقال النبي ﷺ : « من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر

(١) العنكبوت : ٤٩ .

(٢) الواقعة : ٧٦ - ٧٨ .

(٣) أول سورة مريم .

(٤) أول سورة الشورى .

(٥) الحروف المقطعة هي الحروف التي بدأت بها بعض سور القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ الم ﴾ و ﴿ حم ﴾ و ﴿ ن ﴾ و ﴿ ص ﴾ وغيرها ، وقد اختلف العلماء في المراد من هذه الحروف ، ويمكن أن نجمل خلاف العلماء حول الحروف المقطعة في رأيين رئيسيين :

الرأى الأول : ويرى أصحابه أن المعنى المقصود منها غير معروف ، فهم من التشابه الذى استأثر الله بعلمه ، وإلى هذا الرأى ذهب ابن عباس في إحدى الروايات عنه ، كما ذهب إليه الشعبي وسفيان الثوري وغيرهم من العلماء . فقد أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبي أنه سئل عن فواتح السور فقال : إن لكل كتاب سرّاً ، وإن سرّاً هذا القرآن في فواتح السور . ويُروى عن ابن عباس أنه قال : عجزت العلماء عن إدراكها ..

قلت : وهذا الرأى ضعيف جداً . ذلك أن احتساب هذه الأحرف في التشابه الذى استأثر الله بعلمه يجعل ذكرها بين تراكيب القرآن عبثاً أو لغواً . ومعاذ الله أن يقع في القرآن شيء من ذلك ، فمن المقرر الثابت أن القرآن نزل لتدبر آياته ، وفي جهل المؤمنين به وبيعض تراكيبه تعمية وإيهام بخولان دون المقصود من إنزاله على قلب محمد ﷺ خصوصاً وأن هذه الأحرف قد تكررت في ربع القرآن .

الرأى الثانى : ويذهب أصحابه إلى أن لهذه الأحرف المقطعة مفاهيم ومرادات يمكن حملها عليها . وتبعا لذلك يشرع الاجتهاد لتبين تلك المفاهيم والمرادات ، وقد طلع العلماء القائلون بذلك على الناس بأراء زيدت على العشرين . والذى يمكننا أن نختاره من تلك الآراء ونحسبه إن شاء الله صواباً هو أن هذه الأحرف وضعت في مستهل طائفة من سور القرآن لتنبه إلى خصيصة تفردت بها كل سورة من السور التى بدأت بها ، وقد تختلف هذه الخصيصة من سورة إلى أخرى . ذلك لأن لأحرف المقطعة قد تقع في أول السورة لفتاً لأنظار المتعبدين بتلاوتها إلى قصة لم تتكرر في غيرها من سور القرآن ، فسورة البقرة =

حسنات ، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة ،^(١)

وقال ﷺ : « اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم يجعلون أجره ولا يتأجلونه »^(٢)

وقال أبو بكر وعمر - رضى الله عنهما : إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه .

وقال على رضى الله عنه : من كفر بحرف منه فقد كفر به كله ،^(٣)

واتفق المسلمون على عدّ سور القرآن ، وآياته ، وكلماته ، وحروفه ، ولاخلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر ، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف .

= إحدى السور التي بدأت بالأحرف المقطعة تضمنت في آياتها تلك القصة التي استحوذت على العجب كله ، ولم تتكرر فيما سواها من السور وهي قصة البقرة التي سميت باسمها ، وأنت خير بأن هذه القصة خليقة بلغت النظر إليها . وكذلك حدث في كل السور التي بدأت بالحروف المقطعة .

وبقى أن أبين للقارئ الكريم السور التسع والعشرون التي بدأت بالحروف المقطعة وهي كما يلي :

١ - سورة البقرة	٢ - سورة آل عمران	٣ - سورة الأعراف
٤ - سورة الحجر	٥ - سورة إبراهيم	٦ - سورة هود
٧ - سورة يونس	٨ - سورة يوسف	٩ - سورة الرعد
١٠ - سورة مريم	١١ - طه	١٢ - النمل
١٣ - الشعراء	١٤ - النحل	١٥ - لقمان
١٦ - العنكبوت	١٧ - الروم	١٨ - السجدة
٢٠ - الجاثية	٢١ - الزخرف	٢٢ - الشورى
٢٤ - فصلت	٢٥ - سورة القصص	٢٦ - ص
٢٩ - النور	٢٧ - ق	٢٨ - يس

وإذا أردت الزيادة في هذا الموضوع فعليك بالرجوع إلى كتب التفسير وبخاصة تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، والمحرر الوجيز لابن عطية ، وكذلك كتب علوم القرآن .

(١) لاكره الأئمة في منار الهدى في بيان الوقف - الابتداء ص ٢٤ ، ٢٥ في بيان ثواب قارئ القرآن .
(٢) هذا الأثر والذي قبله ، ذكره السيوطي في الإتقان في علوم القرآن ، والزرخش في البرهان في علوم القرآن بنفس الألفاظ ، وهذه حقيقة لأن القرآن ، كله كلام الله ، فمن كذب بحرف منه فقد كذب به كله ، أعاذنا الله وتعالى من ذلك .

(٣) قال العلامة الأئمة في نقلا عن السيوطي وغيره : قد عدّ أربعة من الصحابة الآي : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وأنس بن مالك ، وعائشة ، ونقله عنهم التابعون ، فمن أهل المدينة عروة بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز ، ومن أهل مكة عطاء بن أبي رباح وطاوس ، ومن أهل البصرة الحسن البصري ، =

﴿ إنكم سترون ربكم ﴾

والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم^(١) ، ويذورونه ويكلمهم ويكلمونه .

=إبراهيم سيرين ومالك بن دينار ، ومن أهل الكوفة سعيد بن جبير ، وزر بن حبيش ، وروى أن علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه عدّ ﴿ الم ﴾ آية ، و﴿ كهيعص ﴾ آية . وكذا بقية الحروف في أوائل السور . فماعد الكوفيون عن أهل المدينة ستة آلاف آية ومائتا آية وسبع عشرة آية (٦٢١٧) .

وعده المكيون ستة آلاف ومائتي وتسع عشرة آية (٦٢١٩) .

وعده البصريون ستة آلاف ومائتي وأربع آيات (٦٢٠٤) .

وأما عدد كلمه على قول عطاء بن يسار فسبعة وسبعون ألفاً وأربعمائه وتسع وثلاثون كلمة (٧٧٤٣٩) وحروفه ثلاثة مائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً .

وقال ابن عباس : حروف القرآن ثلاثمئة ألف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمئة حرفٍ وأحد وسبعون حرفاً وهذا دليل على عناية المسلمين بكتاب ربهم من جميع جوانبه . انظر «منار الهدى في بيان الوقف والابتداء» ص ٢٢ ط الحلبي .

(١) رؤية الله تعالى معناها : انكشافه تعالى للرائين بأبصارهم انكشافاً تاماً من غير أن يكون تعالى في جهة ومكان ومقابلاً للرأى أو محدوداً أو محصوراً ، وبدون تكيف بأى كيفية من كيفية رؤية الحوادث بعضهم بعضاً . فقد جرت العادة في رؤية الحوادث بعضهم بعضاً أن الرؤية لا تحصل إلا بمصاحبة أمور :

١ — أن يكون المرئى في جهة ومقابلاً للرأى .

٢ — أن لا يكون قريباً جداً ولا بعيداً جداً .

٣ — وأن لا يكون بينه وبين الرأى سائر يمنع من إتصال الشعاع الخارج من بصر الرأى به .

٤ — أن لا يكون في غاية اللطافة كالهواء .

وقد ذهب أهل السنة أنه يمكن أن توجد الرؤية بالبصر بدون هذه الأمور ، وأن هذه الأمور شروط عادية للرؤية يمكن تحلقها ، لأن الله قادر على أن يخلق فينا رؤية بعضنا بعضاً بدون هذه الأمور .

والمهم أن نعتقد أن رؤية الله بالأبصار ممكنة وجائزة عقلاً ونقلًا في الآخرة ، وواقعة لعباد الله المؤمنين الصادقين يوم يقوم الناس لرب العالمين . وهذا هو مذهب أهل السنة والسلف الصالح خلافاً لمن قال بعكس ذلك وهم المعتزلة الذين ذهبوا إلى أن رؤية الله مستحيلة عقلاً وغير ممكنة في الدنيا والآخرة .

وقد استدلل أهل السنة على الجواز بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي أثبتتها ابن قدامة في متن كتابه الذى بين أيدينا وبغيرها من الأدلة . وتساءل الإمام أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة قائلًا : إن قال قائل : لم قلم إن رؤية الله بالأبصار جائزة من باب القياس ؟ . قيل له : قلنا ذلك لأن مالا يجوز أن يوصف =

قال تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ (١) .
 وقال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ مَحْجُوبُونَ ﴾ (٢)
 فلما حجب أولئك في حال السخط دلّ على أن المؤمنين يرونه في حال
 الرضا وإلا لم يكن بينهما فرق .
 وقال النبي ﷺ : « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في
 رؤيته » (٣) وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية ، لا للمرئ بالمرئ ، فإن الله تعالى
 لا يشبه له ولا نظير .



= به الباري تعالى ويستحيل عليه ، فإنما لا يجوز لأن في تجويزه إثبات حدثه أو إثبات حدث معنى فيه ، أو
 تشبيه .. وليس في جواز الرؤية إثبات حدث ، لأن المرئ لم يكن مرئيا لأنه محدث ، ولو كان مرئيا
 لحدوثه لكان الرائي محدثا للمرئ .

والدليل على أن الله يرى بالأبصار قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ . ولا يجوز أن
 يكون معنى قوله : ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ معتبرة كقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ
 خُلِقَتْ ﴾ لأن الآخرة ليست بدار اعتبار ، ولا يجوز أن يعنى متعطفة راحمة كما قال : ﴿ وَلَا يَنْظُرُ
 إِلَيْهِمْ ﴾ .

فإن قال قائل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ قيل له : في الدنيا
 دون الآخرة ، لأن القرآن لا يتناقض ، فلما قال في آية أخرى إنه ﴿ لَا تَدْرِكُهُ ﴾ علمنا أن الوقت الذي
 قال إنه لا تدركه الأبصار فيه غير الوقت الذي أخبرنا أنها تنظر إليه فيه . أي : (الممع لأنى الحسن
 الأشعري ص ٦١ وما بعدها) .

وفي موضوع الرؤية خلاف طويل بين أهل السنة والمعتزلة بيد أن الحق مع أهل السنة وما ذهبوا إليه من
 أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة هو الحق ، وهو الذي يجب اعتقاده .

(١) القيامة آية : ٢٢

(٢) المطففين آية : ١٥

(٣) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح ١١٤/٢ ، وأبو داود في سننه ٤٧٢٩ ، والترمذي
 ٩٠/٢ ، وابن ماجه حديث ١٧٧ ، وأحمد في المسند ٣٦٥/٤ ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة حديث
 ٤٥١ ص ١٩٦ .

فعال لما يريد

ومن صفات الله - تعالى - أنه الفعال لما يريد^(١) ، لا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن تقديره ، ولا يصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد عن القدر المقدور ، ولا يتجاوز ماخط في اللوح المسطور ، أراد ما العالم فاعلوه ، ولو عصمهم لما خالفوه ، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه ، خلق الخلق وأفعالهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم يهدي^(٢) من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء

(١) صفة الإرادة إحدى الصفات الواجبة لله تعالى ، وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يرجع بها وقوع أحد طرفي الممكن دون الطرف الآخر . فالله سبحانه وتعالى فيما خلق ، وفيما خلق ، وفيما دبر ويدبر به شئون العالم كان يصوغ الكائنات في الأوضاع التي يريد ، وما نراه في السماء والأرض من تنوع في الوجود ، وتميز في السمات هو مظهر الإرادة الحرة في كافة تعلقاتها . فلو أراد الله أن يخلق العالم الذي نعيش فيه على نحو آخر في قوانينه وأنظمته لفعل ، وإذا اتجهت الإرادة إلى شيء فيستحيل أن يتخلف أثرها فإرادة الله نافذة في السماء والأرض ، لأراد لها ولا معقب عليها .

فالله يفعل ما يريد متى يريد وكيف يريد ، وليس معنى ذلك أن أمور الخلق والرزق وشئون البسط والقبض ، وحفظ الرفعة والخفض تصدر على طريقة الارتجال السريع أو الخواطر السانعة ، أو تتم اتفاقاً وتقع مصادفات عارضة . كلا . فإن الكون كله خاضع لشبكة دقيقة النسيج من الأسباب والمسببات ، فالنبات لا يتم نضجه بالإرادة والقدرة ، ولكن مظهر الإرادة والقدرة - فيما نعرفه - من غرس ، وسقى ، وتعمد ، وزمان ، ومكان . ومن العجب أن أصحاب العقول الضيقة يحسبون أن وصف الله عز وجل بأنه يفعل ما يشاء ، معناه أن أحكامه في عبادته لأضابط لها ولا رابط بينها . وهذا كلام باطل . لأن الأسباب والمسببات هي المفاتيح الملقاة بين أيدي البشر ليصلوا بإرادتها إلى ما وراءها من خير أو شر ، فليس معنى أن الله يفعل ما يشاء ويريد ما يشاء ، أنه يشيب العاصي أو يعذب الطائع . فليس لأحد أن يحتج بأن أفعاله وأعماله لا تنفعه زاعماً أن الإيمان والكفر قضاء الله وقدره .

(٢) الهداية في القرآن الكريم على قسمين :

١ - هداية إرشاد ودلالة

٢ - وهداية توفيق .

فقد بين الله لعباده طريق السعادة ، ودعاهم إليه ، وحذرهم من طريق الذلة والضلالة ومهاهم عنه فقال تعالى : ﴿ وهديناه السجين ﴾ .

فمن استجاب لهداية الله التي هي الدلالة أدخل الله هداية التوفيق في قلبه .

بحكمته ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾^(١)

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾^(٢)

وقال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾^(٣)

وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾^(٥) .

وروى ابن عمر أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ : ما الإيمان ؟ .
قال : « أَنْ تَوْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » .

فقال جبريل : صدقت^(٦) .

وقال النبي ﷺ : « آمَنْتُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَخُلُوقِهِ وَمُؤَرِّهِ »^(٧) .

ومن دعاء النبي ﷺ الذي علمه الحسن بن علي^(٨) يدعو به في قنوت الفجر
« وَقِنِي شَرَّ مَا قُضِيَ » .

= قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ فبين أنه هداهم إلى طريق الحق ولكنهم استمروا في ضلالهم ، وابتعدوا عن طريق الصواب .

ومثلها قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ أى أن من عرف الله وسأل إليه أدخل الله الهداية في قلبه .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا ﴾ .

وهذا هو الفهم الحقيقي الذى يجب أن يفهمه المسلمون من كتاب ربهم ستة نبيهم .

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٣ .

(٢) يعنى بحسب ما قدرناه قبل أن نخلقه ، فجرى الخلق على علمه وكتابه والآية من سورة القمر آية ٣٩ .

(٣) سورة الفرقان : ٢ (٤) سورة الحديد : ٢٢ . (٥) سورة الأنعام : ١٢٥ .

(٦) هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب أسلم صغيراً ، كان علماً من أعلام الصحابة .

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ٤٠/١ ، والبخارى من وجه آخر في كتب الإيمان ١٨/١ ، وفي التفسير ٢٠/٦ ، والبيهقي في شعب الإيمان ٤٨٤/١ حديث ١٧٦ . وهو حديث طويل .

(٨) جزء من حديث إسناده صحيح أورده السيوطي في الخمع الكبير المعروف بجمع الجوامع .

(٩) هو الحسن بن علي بن أبي طالب ابن بنت رسول الله ﷺ . كان جده المصطفى يلاعبه ويداعبه وهو

الاحتجاج بالقضاء والقدر

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره ، واجتناب نواهيه ، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن الله الحجة علينا بأنزال الكتب وبعثه الرسل .

قال الله تعالى : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ ^(١) .

ونعلم أن الله مأمور ونهى إلا المستطيع للفعل والترك ، وأنه لم يجبر أحداً على معصية ، ولا اضطره إلى ترك طاعة . قال الله تعالى : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً

= صغير وبين أن الله يصلح بين فئتين عظيمتين من أمة الإسلام ، والحديث صحيح . أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ماجاء في القنوت في الوتر ٣٧٢/١ ، والنسائي في الدعاء في الوتر ٣٤٨/٣ ، والترمذي في كتاب الصلاة باب ماجاء في القنوت في الوتر حديث ٢٦٤ وقال : هذا حديث حسن .

ولفظ الحديث كاملاً عن الحسن بن علي قال : علمني جدِّي رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر : « اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وفقني واصرف عني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت » .

(١) لأن القضاء والقدر لا ينافيان الأخذ بالأسباب ، ولا يستلزمان الرضا بالمعاصي ، لأن المعصية لها جهتان أولاهما : كون العبد كسبها باختيار .

وثانيهما : جهة كونها مخلوقة لله وهو ما يجب الرضا به .

ثم إنه لا يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر بعد الوقوع في المعصية لدفع المؤاخظة ، أو التخلص من حد المعصية ، ولأقبل وقوع المعصية توصلاً إليها كأن يذهب المرء إلى بيوت الدعارة بنية الزنا وهو مستعد لارتكاب الفاحشة ومقتنع بأن هذا مقدر عليه ، فهذا الاحتجاج مردود .

فقد عوقب من تعلل بالقدر في عصر الصحابة . ذلك أنه أتى بسارق إلى عمر بن الخطاب . فقال له : لم سرت ؟

فقال : قضى الله عليّ .

فأمر به فقطعت يده ، وضرب أسواطاً على جسده .

فقيل لعمر في ذلك . أتى في الضرب بعد القطع .

فقال : القطع للمسركة ، والجلد للكذب على الله تعالى .

وقيل لعبد الله بن عمر : إن أقواماً يزنون ، ويشربون الخمر ، ويسرقون ، ويقتلون ، ويقولون : كان في علم الله فلم نجد بداً منه .

فغضب رضوان الله عليه وقال : سبحان الله العظيم قد كان في علم الله أنهم يفعلون ويحملهم علم الله على فعلها ولكنهم كاذبون .

(٢) النساء : ١٦٥ .

إِلَّا وَسَعَهَا ﴿١﴾ :

وقال الله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ (٣) .

فدل على أن للعبد فعلاً وكسباً يجزى على حسنه بالثواب ، وعلى سيئه بالعقاب ، وهو واقع بقضاء الله وقدره .

زيادة الإيمان ونقصانه

والإيمان (٤) قول باللسان ، وعمل بالأركان ، وعقد بالجنان ، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (٥) .

فجعل عبادة الله تعالى ، وإخلاص القلب ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة كله من الدين .

وقال رسول الله ﷺ : « الإيمان بضغّ وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن

(١) سورة : ٢٨٦ . (٢) سورة التغاين : ١٦ . (٣) سورة غافر : ١٧ .

(٤) الإيمان في اللغة معناه التصديق تقول : آمنت بالله أى صدقت به واتبعت تعاليمه . وقد أجمع علماء الأمة من بغداد أنهم أنه يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي . ذلك أن آيات القرآن ، وأحاديث المصطفى ﷺ ، وأقوال سلف الأمة يدل على ذلك . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا نَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ . وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْكُم زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون ﴾ . وقال رسول الله ﷺ : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » . (إسناده حسن) . وقال ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه . فإن لم يستطع فقلبه وذلك أضعف الإيمان » . (أخرجه مسلم) . وكان عمر بن الخطاب ربما أخذ بيد الرجل والرجلين فيقول : « تعالوا تزداد إيماناً » . وعن أنى الدرداء قال : « الإيمان يزداد وينقص » . وعن هشام بن عروة قال : « ما نقصت أمانة عبد قط إلا نقص من إيمانه » هذا وقد وردت آلاف الأقوال التي تؤيد زيادة الإيمان ونقصانه على لسان صحابة رسول الله ﷺ .

قال الإمام البخارى : أدر كنا سبعين من كبار أصحابنا كلهم يقول الإيمان يزيد وينقص .

وهكذا ورد عن كبار التابعين وأتباعهم . ولم يشذ عن هذا القول إلا المعتزلة وبعض الفرق الأخرى ، وبخاصة أن مذهب أهل السنة والجماعة زيادة الإيمان ونقصانه لدلالة آيات الكتاب والسنة وأقوال السلف على ذلك . (٥) سورة البينة : ٥ .

لا إله إلا الله . وأدناها إماطة الأذى عن الطريق »^(١) .

فجعل القول والعمل من الإيمان .

وقال تعالى : ﴿ فزادهم إيماناً ﴾^(٢) ﴿ ليزدادوا إيماناً ﴾^(٣) .

وقال رسول الله ﷺ « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال بُرَّة أو خردلة أو ذرَّة من الإيمان »^(٤) . فجعله متفاضلاً .

﴿ آمَنَ بِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِكَ ﴾

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ ، وصح به النقل عنه فيما شهدناه أو غاب عنا نعلم أنه حق وصدق ، وسواء في ذلك ماعقلناه وجهلناه ، ولم نطلع على حقيقة معناه ، مثل حديث الإسراء والمعراج^(٥) ، وكان يقظة لا مناماً ، فإن قريشاً أنكرته وأكبرته ، ولم تنكر المنامات .

(١) حديث صحيح . أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ، وفضيلة الحياء وأنه شعبة من الإيمان ٦٣/١ حديث ٥٨ .

ومعنى البضع . أنه عدد مبهم مقيد بما بين الثلاث إلى التسع ، ويكون مع المذكر بهاء « بضعه » ومع المؤنث بغير هاء « بضع » . ومنه قوله تعالى ﴿ غلبت الروم في أدنى الأرض وهم بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين ﴾ أما الشبهة فهي الطائفة من الشيء والقطعة منه ، والمراد الحصلة . ونحن نلاحظ أن الخبر أتى بإيهام هذه الشعب ، وفي المتن عن القاضي عياض : تكلف جماعة عن حصر هذا الشعب بطريق الاجتهاد . ويصعب الحكم بكون ذلك هو المراد ، ولا يقدح عدم معرفة ذلك على التفصيل في الإيمان .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٣ .

(٣) سورة الفتح : ٤ .

(٤) حديث صحيح . أخرج بالفاظ متقاربة من عدة طرق ، فقد أخرجه البخاري في الصحيح . ومسلم كذلك

(٥) أجل . فإنه يجب أن تؤمن وتعتقد في كل ما جاء عن رسول الله من طريق النقل الصحيح ، وذلك إما عن طريق التواتر أو ما جاء عن طريق الأحاديث الصحيحة والتي يعرفها العلماء بقولهم : ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط ضابطاً تاماً من أول السند إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة قاذحة

(٦) يجب الاعتقاد بأن الله قد أسرى بنبيه وعبيده ورسوله محمد ﷺ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بروحه وجسده حال يقظته ثم عرج به وطاق في السماوات سماء سماء ، ورأى أرواح الأنبياء عليهم السلام هنالك لما ثبت في القرآن وكتب الصحاح والسنن . قال تعالى : ﴿ سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ ، ولو كان ذلك رؤياً منام ما كذب في ذلك أحد ، كما لا نكذب نحن كافرين ، رؤياً يذكرها ولقد تخطت بعض الآراء في الإسراء والمعراج ، فتأوله بعضهم =

ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى - عليه السلام - ليقبض روحه لطمّة ، ففقأ عينه ، فرجع إلى ربه ، فردّ عليه عينه^(٢) .

= يقوله : هـ هذا الروح القوى قد اجتمعت فيه في ساعة الإسرائ والمعراج وحلة هذا الوجود بالغة غاية في جهاها . لم يقف أمام ذهن محمد وروحه حجاب من الزمان أو المكان أو غيرها من الحجب . ومعنى هذا أنه انكشفت له الأشياء ﷺ وهو في مكة من غير أن يتحرك ، وهذا يخالف لظاهر القرآن في قوله ﴿ أَمْرِي ﴾ فلا بد أن تكون في الإسرائ نقلة . وأدعى البعض أن قصة الإسرائ والمعراج إن هي إلا رموز فتأولوها من غير سند ولا تحقيق ، وأنكرتها طائفة أخرى . والنواقع : أنه لا يمكن لأحد أن يتقبل مالم تجر به العادة إلا إذا علم مااختص الله به بعض عباده ، فكل مايجر به الأنبياء صدق ، وماتأمر به عدل ، وليس للأنبياء فعل فيما يجرون به ، إذ أن كل مايتأتون به دلالة على قدرة الله سبحانه .

(٣) يشير بهذا إلى ما جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخارى في كتاب بدء الخلق باب وفاة موسى عليه السلام ، ومسلم في صحيحه باب من فضائل موسى عليه السلام ، ونصه : عن أنى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : هـ جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام - فقال له : أجب ربك قال : فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها ، قال : فرجع الملك إلى الله تعالى فقال : إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ، وقد فقأ عيني ، قال : فردّ الله إليه عينه ، وقال : ارجع إلى عبدى فقل : النجاة ثريد ؟ فإن كنت تريد الحياة فضغ يدك على متن الثور ، فما توارت بلك من شعرة ، فإنك تعيش بها سنة . قال : ثم ممّ ؟ قال : ثم تموت . قال : فالآن من قريب ، رب أنتى من الارض المقدسة وفيه يخبر . قال رسول الله ﷺ : والله لو أنى عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكتيف الأحمر .

ومعنى الحديث : أن ملك الموت جاء لموسى وقال له : أحب ربك أى للموت ، فظنّه موسى آدميا فلطمه لطمه أدت إلى فقأ عينه التى رُكبت من الصورة البشرية والنسب جاءه فيها ، وقيل : يحتمل هذا الأمر ثلاثة أوجه . أحدها : أنه لا يمتنع أن يكون موسى - عليه السلام - قد أذن له في تلك اللطمه ، ويكون ذلك امتحاناً للملطوم ، وأن الله تعالى يفعل في خلقه مايشاء ، ويمتحنهم بما أراد .

الثانى : أن ذلك على سبيل المجاز ، والمراد أن موسى ناظره فغلبه بالخجعة . ويقال : فقأ فلان عين فلان إذا غلبه بالخجعة فغلبه . ولكن في هذا الرأى ضعف نقولنه ﷺ : ، فردّ الله إليه عينه .

الثالث : أن موسى عليه السلام لم يعلم أنه ملك من عند الله ، وحن أنه رجل يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقء عينه لا أنه قصد بها بالفقء . وهذا هو ماقرره الإمام ابن خزيمة وغيره من المتأخرين واختاره المازرى والقاضى عياض ، وقالوا : ليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه . فإن قيل : قد اعترف موسى حين جاءه ثانية بأنه ملك الموت ، فالجواب أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى .

هذا ، وقد أنكر بعض الملاحدة في القديم والحديث - هذا الحديث ، وأنكر تصويره ، وقالوا : كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت . ومن هؤلاء في عصرنا المسمى بمحمود أنى رية في كتابه الخبيث « أضواء على السنة المحمدية » والذي تعمد فيه إنكار الأحاديث الصحيحة ، وسب الصحابة وبخاصة الصحابى الجليل أبو هريرة راوى هذا الحديث الذى معنا ، والذي أنكره أبو رية بسبب جهله وسوء فهمه . وللأسف مازالت « دار المعارف » تعاود طبع هذا الكتاب .

ومن ذلك أشرط الساعة مثل خروج الدجال ^(١) ، ونزول عيسى بن مريم ^(٢) عليه السلام . فيقتله . وخروج يأجوج ومأجوج ^(٣) ، وخروج

(١) جاء ذكر الدجال في الكثير من نصوص السنة الصحيحة المصروفة بأن خروجه من علامات القيامة المؤذنة بقرنها . والدجال - بفتح الدال وتشديد الجيم من الدجل ، وهو التغطية ، وقد سُمي الدجال بذلك لأنه يغطي الحق بباطله ، واعلم أن الذي عليه أهل السنة والجماعة أن خروج الدجال حق ثابت ، ووجوده في آخر الزمان صحيح حاصل ، وأنه من علامات الساعة ، مستندين في كل ذلك بما جاء في صريح السنة وصحيحها ومن ذلك ما رواه مسلم والبخاري في صحيحهما عن ابن عمر قال : ذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال : « إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله ليس بأعور » وأشار بيده إلى عينه - وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنية طافية » (والطافية) هي التي ذهب ضوءها .

وعند مسلم من حديث أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ : « الدجال مكتوب بين عينيه - ك ف ر - أى كافر يقرأه كل مسلم » . كما أنه يصرح عنه ﷺ بالإكثار من التعوذ من فتنة المسيح الدجال . وسوف يقتل الدجال بيد عيسى بن مريم عليه السلام .

(٢) اعلم أن نزول عيسى - عليه السلام - في آخر الزمان آية كبرى من آيات القيامة ، وعقيدة ثابتة بالكتاب والسنة . وقد تسأل : ما الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء ؟ . والجواب : أن الحكمة في ذلك الرد على اليهود - في زعمهم - أنهم قتلوه ، فبين الله كذبهم ، وأنه هو الذي يقتلهم أول نزوله . وقيل : إنه دعا الله - لما رأى من صفة محمد وأمه - أن يجعله منهم ، فاستجاب الله دعاءه ، وأبقاه ، حتى ينزل في آخر الزمان مجدداً لأمر الإسلام ، فيوافق نزوله خروج الدجال فيقتله ، وهذا هو رأى الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى عليه .

أما دلائل نزوله : فمن القرآن قوله تعالى في شأنه : ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ السَّاعَةَ فَلَا تُغْنِيهَا ﴾ وذلك عقب الحديث عنه في قوله : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَطْلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُون ﴾ .

ومن السنة : فقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة ، وإن كانت أحاديث أحاد إلا أنها تفيد التواتر ، ومن ذلك ما أخرجه البخاري وغيره عن أنى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الحزقة ، ويفيض المال ، حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها » ثم قال أبو هريرة : وارعوا إن شئتم ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ .. وعند مسلم من طريق جابر بن عبد الله قال : سمعت النبي ﷺ يقول : ﴿ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يَقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ : تَعَالَى صِلْ لَنَا ، فَيَقُولُ : لَا ، إِنْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ أَمْوَاءٌ .. ومن ثمَّ وجب اعتقاد نزول عيسى في آخر الزمان للأحاديث الصحيحة الكثيرة البالغة حد الشهرة في إثبات نزوله .

(٣) يأجوج ومأجوج قوم جعل الله خروجهم آخر الزمان آية شاهدة على اقتراب الوعد الحق ودُنُو القيامة ، وهم أمة مفسدة فاسدة تروع الناس ، وتنتشر في الأرض الفرع والخراب . قال تعالى : ﴿ إِنْ =

الدابة ^(١) ، وطلوع الشمس من مغربها ^(٢) ، وأشباه ذلك مما صح به النقل .
وعذاب القبر ونعيمه حق ^(٣) ، وقد استعاذ النبي ﷺ منه وأمر به في كل

= يأجوج ومأجوج ففسدون في الأرض ﴿ ١ 〉 . وقد دلَّ الكتاب الكريم والسنة المطهرة الصحيحة على خروجهما أما الكتاب فقد قال تعالى : ﴿ ٢ 〉 حتى إذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ واقرب الوغْد الحق ﴿ ٣ 〉 . وقيل في تفسير هذه الآية : أى حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج يخرجون من كل طريق للفساد في الأرض ، وإذا حدث هذا فقد اقرب وقت القيامة ، ذلك أن خروجهم علامة من علامات دنوها واقترابها . وأما مجاء من أحاديث في السنة المطهرة فكثير ، ومن ذلك ما روته زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ ، من أنه استيقظ ذات يوم من نومه وهو يقول : « لا إله إلا الله . ويل للعرب من شر قد اقرب . فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » . وعقد راوى الحديث بيده عشرة . قلت : يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم إذا كثرت الخبيث » أخرجه مسلم في الصحيح . والحق أن خروج الدجال ويأجوج ومأجوج عقيدة شعية . دلَّ عليها الكتاب والسنة ، وأجمع على ذلك سلف الأمة ، واتفق على حقيقتها أهل السنة والجماعة ، فوجب التصديق بذلك .

(١) لقد أفصح نصوص القرآن والسنة عن خروج الدابة لتكون علامة من علامات القيامة . فقد قال تعالى متحدثاً عن هذه الآية : ﴿ ١ 〉 وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴿ ٢ 〉 وقد فسر العلامة البيضاوى هذه الآية بقوله : « إذا دنا ما وعد الناس به من البعث والعذاب أخرج الله دابة من الأرض تكلم الناس وتحذروهم وتقول إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » . كما روى مسلم في صحيحه عن أنى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض » وغير ذلك من الأحاديث كثير . وعلى هذا لزم الاعتقاد بهذه الآية

(٢) ضوع الشمس من مغربها علامة كبرى من علامات القيامة المؤددة بخصوصها ووقوعها ، وهو أمر عظيم حضير ، لأن فيه حرقاً لتوحيش الكون ، وبه يتغير حال العالم العلوى . وقد دلت السنة الصحيحة على وقوع هذا الأمر . فقد أخرج البخارى في صحيحه عن أنى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا رآها الناس آمن من عليها ، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » . وأخرج مسلم هذا الحديث بلفظ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها ، آمن الناس كلهم أجمعون . فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » . والمعنى أن باب التوبة سيعلق على المؤمنين العاصي والكافر ، من حين طلوع الشمس من مغربها إلى يوم القيامة . فلا تقبل توبة العاصي ولا إيمان الكافر مصداقاً للأحاديث المتقدمة .

(٣) بالنسبة لعذاب القبر ونعيمه فقد أجمع المسلمون إلا ينقض من معتزلة عن أن كلا من نعيم وعذابه حق ، فيجب الإيمان بهما ، وإنكارهما بدعة . والدليل على ذلك - أى وقوع العذاب أو النعيم في القبر - كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . أما الكتاب فعوله تعالى في آل فرعون : ﴿ ١ 〉 النار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿ ٢ 〉 وظاهر أن إدخالهم النار غير عرضهم عليها =

صلاة ، وفتنة القبر حق ، وسؤال منكر ونكير حق^(١) ، والبعث بعد الموت حق^(٢) ، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور ﴿ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾^(٣)

= بدليل العطف . وقوله تعالى في قوم نوح : ﴿ أَغْرَقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا ﴾ وهذا دليل على عذابهم في قبورهم . وقد جاء في السنة ما يدل على ذلك ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ مرّ بقبرين فقال : « إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال : بلى أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله » . وكان ﷺ يستعيز من عذاب القبر عقب كل صلاة ويقول : « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب جهنم ومن فتنة الحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال » وكذلك وردت الآثار في فتنة القبر في كتب السنة المعتمدة .

(١) اعلم أن سؤال الملكين للميت عن ربه ودينه ونبيه أمر ممكن عقلاً ، وقد ورد به الكتاب والسنة ، فعلى ذلك يجب الإيمان به . قال تعالى : ﴿ يَبْثُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ قال عكرمة في تفسيرها : هي الشهادة يُسألون عنها في قبورهم بعد موتهم وقال عكرمة : يُسألون عن الإيمان بمحمد ﷺ وأمر التوحيد فيجب بما يوافق مامات عليه من إيمان أو كفر أو شك . ودليل سؤال الملكين من السنة قول السي وفعله ، فقد روى عثمان بن عفان قال : كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : « استغفروا لأخيكم واسألوا له الثبوت فإنه الآن يُسأل » . ولكن معلوماً أن السؤال لكل ميت ، قبر أم لم يُقبر بأن أكلته السباع أو أحرقت النار أو ذرته الريح ، وأن السؤال للبدن والروح معاً ، ولعل الحكمة في سؤال القبر إظهار ما كتمه العباد في الدنيا من إيمان وكفر ، فالؤمنون يباهي الله بهم الملائكة ، وغيرهم يفضحون أمام الملائكة .

(٢) أجمع المسلمون على أن البعث بعد الموت حق لا مرية فيه ، وانبعث هو : إحياء الموتى وإخراجهم من القبور بعد إعادة الأجسام ، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على وقوعه ، فيجب الإيمان بذلك والمبكر كافر لأنه أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة . قال تعالى مبيناً ذلك الأمر : ﴿ زَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثَرُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُعْثَرُنَّ ثُمَّ لَتَنْبُؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ . وقد جاء في السنة المطهرة ما يدل على وقوع البعث ، ومن ذلك ما روى أن أنى بن خلف خاصم النبي ﷺ ، وأباه عظم قدراً وبلى ، وفتنه بيده وقال : يا محمد أترى الله نبي هذا بعدما رمى فقال عليه الصلاة والسلام : « نعم ويعثك ويدخلك النار » والأحاديث في هذا الباب وفيرة متعددة . وعلى هذا إجماع علماء الأمة سلفاً وخلفاً .

(٣) سورة يس : ٥١ .

الحشر حق وصدق

وَيُخَشِّرُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِفَاةَ عِزَّةٍ غُرْلًا بَيْنَهُمَا ، فَيَقِفُونَ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَشْفَعَ^(١) فِيهِمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَيَحَاسِبُهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَتَنْصَبُ الْمَوَازِينُ وَتَنْشُرُ الدِّوَابُّونَ ، وَتَنْطَايِرُ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ إِلَى الْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلِ^(٢) .

(١) الحشر معناه : جمعُ الله الخلائق ، بعد بعثهم أحياءً في ساحة واحدة تُدعى « عرصات القيامة » ، أو الموقف ، أو أرض المحشر ، وذلك للحساب والجزاء ، والمحشر هو الحال الثاني من أحوال الآخرة وقد تعاضدت أدلة الكتاب والسنة وإجماع السلف على ثبوت المحشر ووقوعه ووجوب اعتقاده أما دليله من القرآن ، فالآيات المصروفة به كثيرة وصريحة وعكمة . منها قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ ﴾ . وقوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَفْخُ فِي الصُّورِ وَنُخْشِرُ الْمُخْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ وقوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِلنَّاصِرِينَ وَالشَّيَاطِينِ ثُمَّ لِحَضْرَتِهِمْ خَوْلَ جَهَنَّمَ جِثَا ﴾ . وأما دليله من السنة فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنه قالت : قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة حفاة غرأة غرلاً ، قلت يا رسول الله : النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : « يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض » (متفق عليه) .

واعلم أن المحشر يكون في أرض طيبة مبددة لم يفض الله عليها ، فقد قال ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي (أي الخبز الأبيض السالم من الغش) ليس فيها مغلم لأحد » (متفق عليه) . والمحشر يكون للأجسام والأرواح ومكة حشر كافر إجماعاً ، وقد كفر الإمام الغزالي فلاسفة الإسلام - كابن سينا - لما قالوا بالمحشر للأرواح فقط . ومن ثم فإنكار المحشر للأجسام كفر أصريح .

(٢) معنى قوله (غرلاً : قلفاً ، فالأعزل هو الأقف ، ومنه : ركب خيل على أعزته : أي في صغره ، ولم يخشن بعد ، انظر غريب الحديث للإمام ابن الجوزي ٥٤٢/٢ مادة « عز » .

(٣) من أحوال القيامة وضع الكتب ونشر الصحف وتطايروها كما ورد بذلك الكتاب والسنة ، وانعقد عليه الإجماع . والصحائف : هي صحائف الأعمال التي كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد في الدار الدنيا من خير أو شر . ومعنى نشر الدواوين أي جعل صحائف الأعمال في الأيمان أو الشمائيل لقراءتها . ومعرفة الحسنات والسيئات تمهيداً للسؤال والحساب ، وإيماناً في إقامة الحجة على العباد ، وتحقيق العدالة الإلهية . قال تعالى : ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَا مَا هَذَا الْكِتَابُ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أُخْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّمْ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ قيل : يعنى صحائف الأعمال ، فإنها تطوى عند الموت ، وتنشر وقت الحساب . وقيل : نشرت أي فرقت بين أصحابها . ودلت السنة على ذلك بأحاديث معتبرة توضح أن كل مكلف له صحيفة يوم القيامة ، وأن كل واحد ممن يأخذ الكتب والصحف يقرأ كتابه بنفسه ولو كان أمياً

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ
مَسْرُورًا . وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرًّا وَيَصِلُ
سَعِيرًا ﴾ ^(١) .



= لقوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ لَازِمَةٌ لَوَاقِعِهِ فِي مَحَقِّهِ وَنُخْرَجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ
كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ وعلى هذا فإنه يجب الاعتقاد في هذا الأمر للدلالة عليه من
كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

(١) سورة الانشقاق ٧ : ١٣ .

الميزان من أمور الآخرة

والميزان له كفتان ولسان^(١)، يوزن به أعمال العباد ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾^(٢) .

ولنبينا محمد ﷺ حوض^(٣) في القيامة مأوّه أشدّ بياضاً من اللبن ، وأحلى

(١) الميزان من الأمور السمعية التي يجب الإيمان بها . لدلالة نصوص الكتاب والسنة على وجوده ، وإذا كان أمر الميزان والوزن في الدنيا ، وبين الناس في تعاملهم يُنظر على أنه وسيلة وآلة في تحرى العدالة ، ورفع التظالم بين المتعاملين ، فلا يتأق الجور والغبن في الحقوق والمقادير . فإن أمره في الآخرة أجل وأخطر ذلك أن الميزان الأخرى من صنعة الإله العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة ، وكان الخالق الأعظم في وضعه الميزان ، يتجلى في أسمى مراتب العدالة المطلقة طمأنينة لقلوب المؤمنين العاملين ، وحضاً لهم على الاستكثار من الأعمال الصالحة ، واستشارة لهم المفرطين العاصين . وعلى هذا فالميزان يمكن عقلاً ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين . أما ثبوته بالكتاب الكريم فقد جاء التصريح به في عديد من الآيات منها قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُفًى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ ومنها الآية التي معنا في متن الكتاب ، وغيرها . وأما السنة فقد جاء عن سلمان ، عن النبي ﷺ قال : « يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لوُسعت ، فقول الملائكة : يارب لمن يزن هذا ؟ فيقول الله تعالى : لمن شئت من خلقى . فيقولون : سبحانه ما عبدناك حق عبادتك » (أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم) ، وقد قرر صاحب حاشية الأمير أن أحاديث الميزان بلغت حدّ الثواتر . وقد اختلف العلماء في صفة الميزان فقال التفنيزاني صاحب المقاصد : « ذهب كثير من المفسرين إلى أنه ميزان له كفتان ولسان وساقان عملاً بالحقيقة لإمكانها وقد ورد في الحديث تفسيره بذلك » ، ويتسبّب الإمام الأشعري هذا القول إلى أهل الحق في كتابه مقالات الإسلاميين ١٦٤/٢ فيقول : « قال أهل الحق : له لسان وكفتان توزن في إحدى كفتيه الحسنات وفي الأخرى السيئات فمن رجحت حسناته دخل الجنة ومن رجحت سيئاته دخل النار ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل الله عليه فأدخله الجنة » . هذا ولقد أنكر بعض المعتزلة هذه الصفة بالنسبة للميزان ، والذي أميل إليه هو أنه يجب الاعتقاد بوجود الوزن والميزان ، وما عدا ذلك فأمور خلافية لا تمس العقيدة من قريب أو بعيد ، وإن كان الأجل متابعة أكثرية الأمة فيما اتفقوا عليه من أن له كفتان ولسان وما إلى ذلك .

(٢) الأعراف : ٨ ، ٩ .

(٣) حوض النبي ﷺ الذي يعطاه يوم القيامة من الأمور السمعية التي أجمع عليها الجمهور ، ووردت بها الأحاديث التي بلغ مجموعها حدّ الثواتر ، وهو « جسم متسع الجوانب مأوّه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكثيراته كمنجوع السماء من شرب منه فلا يظلم أبداً » . وعن هذا فإنه يجب الإيمان به ومكره مبتدع وقد ورد تعديد الخوص جهات مختلفة فمن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله = :

من العسل ، وأباريقه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً .

والصراط^(١) حق تجوزه الأبرار ، ويزل عنه الفجار ، ويشفع نبينا ﷺ فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر ، فيخرجون بشفاعته^(٢) ، بعدما أحترقوا وصاروا فحمًا وحمماً ، فيدخلون الجنة بشفاعته ، ولسائر الأنبياء والملائكة

== ﷺ قال : « حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء » قال العلماء: معناه طوله كمرضه كما قال في حديث أنى ذكر عند مسلم عرضه مثل طوله » وعن أنس أنه ﷺ قال : « ما بين حوضى كما بين صنعاء والمدينة » (متفق عليه) . وهذا التحديد كله باب من المبالغة معروف في الشرع واللغة ، فقد قصد ﷺ إعلام المخاطبين بسعته جداً ، رزقنى الله والذى والمسلمين شربة من هذا الحوض لانظماً بعدها أبداً .

(١) الصراط في اللغة هو : الطريق الواضح ، مشتق من صرطه يصرطه إذا ابتلعه ، سمى به الطريق لأنه يتلعب المارة . ومعناه في الشرع : جسر ممدود على ظهر جهنم ، يرده الأولون والآخرون ، حتى الكفار والأنبياء والصديقون ومن يدخل الجنة بغير حساب ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ تُنْجَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثْيًا ﴾ والصراط من السمعيات التي يتعين الإيمان بها ، فهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، واتفاق أكثر خلفها ، فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ وقوله عز من قائل : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُصَرُّونَ ﴾ وقد ورد في السنة المطهرة الصحيحة ما يوضح كيفية وضفة المرور على الصراط ، فمن الناس من يجتازه كالبرق الخاطف ، ومنهم من يجتازه كالريخ الهابة ، ومنهم من هو كالجواد ، ومنهم من يجر على وجهه ، وكل ذلك وارد في الأحاديث . فعند مسلم من حديث أنى سعيد الخدرى قول النبي ﷺ : « فقومان جنبتي الصراط بيننا وشمالا ، فيمراً أولكم كمر البرق ، ثم كمر الريخ ، ثم كمر الطير ، وشد الرجال تجرى بهم أعمالهم ، ونيكم قائم على الصراط يقول : يارب سلم سلم ، حتى تعجز أعمال الرجال ، حتى يحىء الرجل فلا يستطيع إلا زحفا . وفي حافى الصراط كلاليب (حديدة معوجة الرأس) معلقة ، مأمورة بأمر من أمرت به ، فمخدوش ناج ، ومكدوس في النار » . ومفاد ذلك أن سرعة المرور ويسره ، وبطئه وعسره يكون على قدر العمل . وخلاصة الأمر أنه يجب الاعتقاد في الصراط والإيمان به شرعاً وعقلاً .

(٢) شفاعته النبي ﷺ يوم القيامة في أهل الكبائر من أمته معتقد يجب التصديق به ، ومعنى الشفاعته في اللغة الوسيلة والطلب . أما تعريفها في العرف والأصطلاح : سؤال الخير من الغير للغير . وقد ورد بها الكتاب والسنة . قال تعالى : ﴿ مَا مِنْ شَافِعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ . وقال شفيع الأمة ﷺ : « شفاعتى لأهل الكائن من أمي » (أخرجه ابن ماجه وأبو داود والترمذى ، وهو حديث صحيح) فيجب الإيمان بأن في الآخرة شفاعته لنبينا محمد وغيره من الانبياء والاحيار . هذا ولقد زعم فريق من الناس أن شفاعته النبي ﷺ لرفع الدرجات لأنها وسيلة لغفران الذنوب ، وهذا الزعم مخالف لما ثبت عن النبي ﷺ في قوله : « لكل نبي دعوة دعاها لأمته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتى يوم القيامة » .

وأعلم أن الشفاعته المشهورة خمسة : الأول : الشفاعته في فصل القضاء لإراحة الخلق جميعاً من طول الوقوف والمشقة ، وهذا النوع خاص بنبينا محمد ﷺ باتفاق ، فإنه حينما يطول الوقوف ويشتد الكرب ==

شفاعات ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (١) وَلَا تَنْفَعُ الْكَافِرَ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٢) .

وجود الجنة والنار

والجنة والنار مخلوقتان (٣) لا يفتنيان (٤) .

= على أنباء ، يلهمون أن الأنبياء هم الوسطة بين الله وحلقه ، فيذهبون إلى الأنبياء من آدم إلى عيسى ، ويسألونهم الشفاعة في الانصراف من الموقف فكل واحد من الأنبياء يقول نست ها ، نفسي نفسي ، فإذا انتهى الأمر إلى نبينا محمد يقول : أنا أنا ها أمنى أمنى ، ثم يشفع في فصل القضاء .

النوع الثاني من الشفاعة : إدخال فريق الجنة بغير حساب فقد ورد أنه ﷺ قال : « يدخل الجنة من أمي سبعون ألفاً بغير حساب » فهذا الحديث يدل على أن النبي ﷺ سأل ربه أن يدخل قوماً الجنة بغير حساب وأحب الله طلبة . النوع الثالث : الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لبعض الناس ، وهذا النوع ليس خاصاً بنبينا محمد بل يشاركه فيه الأنبياء والملائكة والصالحون . وهذه الأنواع الثلاثة لم يخالف في ثبوتها أحد من العلماء . النوع الرابع : الشفاعة فيمن استحق دخول النار من عصاة المؤمنين أن لا يدخلوها .

النوع الخامس : الشفاعة في إخراج بعض عصاة المؤمنين من النار .
(١) الأنبياء : ٢٨ .

(٢) مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ مَا سَأَلَكُمْ فِي سَفَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَحْضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ فَمَا تَفْقَهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ .

(٣) أجمع جمهور المسلمين أن الجنة والنار موجودتان الآن ومحيوتان خلافاً لما ذهب إليه المعتزلة والخوارج من أنهما لم يخلقاً بعد ، وليس للمعتزلة والخوارج حجة أو برهان على صحة أقوالهم ، ولقد استدلل جمهور علماء على وجود الجنة والنار الآن بعدة أدلة منها :

١- حصار النبي ﷺ أنه رأى الجنة ليلة الإسراء ، وأنه رأى سدرة المنتهى في السماء السادسة ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَأَىٰ نَزْلَةَ أُخْرَىٰ عِنْدَ مَلَكُوتِهِ ﴾ ، فصح أن جنة المأوى في السماء السادسة وقد أخبر ببارك اسمه أنها الجنة التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة فقال سبحانه : ﴿ لَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نَزْلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وقصة آدم وحواء دليل على وجود الجنة وأنها مخلوقة ، وقد أخرج الله منها وأهبطه إلى الأرض وكذلك اتفقوا على وجود النار الآن فهي مُعدّة للكافرين . وهذه القضية مفصلة في الفصل في الملل والنحل للإمام ابن حزم ٦٨/٤ .

(٤) اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لعيمها ، ولا مسار ولا لعذابها إلا جهنم بن صفوان وأن هديل العلاف وقوماً من الرافض من لا يعتد به .

فالجنة مأوى أوليائه ، النار عقاب لأعدائه ، وأهل الجنة فيها مخلدون .
﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ خَالِدُونَ لَا يُمْكِرُونَ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾^(١) ويؤقى بالموت فى صورة كبش أملك ، فى ذبح بين الجنة والنار ،
ثم يقال : ﴿ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ ، يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ ﴾^(٢) .



== أما جهنم فقال : إن الجنة والنار يفتيان ويفنى أهلهما ، وقد أدى به هذا القول إلى حملة شديدة شنتها عليه الأمة منكراً قوله ، مفندة رأيه ، مبطله زعمه .

وأما أبو هذيل العلاف فقد قال : إن أهل الجنة وأهل النار لا يفنون ولكن تغنى حركاتهم ، ويقفون بمنزلة الجماد لا يتحركون ، وهو رأى باطل مردود .

ومن عجب أنه يقع فى هذا المأزق شيخ الإسلام ابن القيم وأستاذه ابن تيمية فيقولان بفناء النار وقد ردّ عليها أئمة الإسلام أمثال السبكي ، والصنعاني ، وانظر مقدمتنا لكتاب « حادى الأرواح » لابن القيم بتحقيقنا ، حيث إننى قمت بتوضيح هذه المسألة وبيان وجه الحق فى هذه القضية .

والأدلة على بقاء الجنة والنار أكثر من أن تحصى ، ومن ذلك قوله تعالى عن أهل الجنة وأهل النار ، كل حسب مقامه ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ فاعتقد فى بقائهما وعرض على ذلك بالنواجد .

(١) الزخرف : ٧٥

(٢) ، حديث صحيح . أخرجه البخارى فى الرقاق باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ١٣٦/٤ ، ومسلم فى كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٨/٤ حديث ٤٠ ، وأحمد فى المسند ١١٨/٢ .

عقيدة ختم النبوة

ومحمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين^(١) وسيد المرسلين ، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ، ويشهد بنبوته ، ولا يُقضى بين الناس في يوم القيامة إلا بشفاعته ، ولا تدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته ، صاحب لواء الحمد ، والمقام المحمود ، والخوض المورود ، وهو إمام النبيين وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم ، أمته خير الأمم ، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام .

(١) من مبادئ الإيمان بعد التوحيد ، أن محمداً ﷺ قد ختم الله به النبوة ، وأنه لا يابى بعده ، وأنه لا وحى بعده ، ولا إلهام يكون حجة شرعية ، وهذه العقيدة هي المعروفة به عقيدة ختم النبوة في الإسلام واعتبرتها الأمة الإسلامية من عصر النبي ﷺ إلى يومنا هذا جزءاً من الإيمان من غير أدنى خلاف ، والعشرات من الآيات القرآنية ، ومئات من الأحاديث النبوية عليها شاهدة . ففي القرآن يقول الحق تبارك اسمه : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ ، وجاءت السنة الصحيحة مبينة لهذا المعنى ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : **« كَانَتْ يَهُودُ إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي . »** وفي البخاري كذلك أن النبي ﷺ قال : **« إِنْ مَثَلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتاً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْطِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ ، وَيَعْبُدُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ : هَلَا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبَنَةَ . »** قال : **« فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ . »** وعلى هذا الأمر انقعد إجماع المسلمين ، وأصبح بمنزلة المعلوم من الدين بالضرورة . ولكن لا بد هنا من إشارة إلى أن النبي ﷺ كما أوضح عقيدة ختم النبوة في مئات الأحاديث أخبر أيضاً عما يحدث في المستقبل بقوله ﷺ : **« لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُوتَ دَجَالُونٌ كَذَابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ كُلَّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ »** (رواه البخاري) . وقال أيضاً : **« إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَابُونَ ثَلَاثُونَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي »** (رواه مسلم) . وفي هذين الحديثين أطلق النبي ﷺ على مُدْعَى النبوة لفظاً «الدجال» ومعناه الخداع الشديد الخداع ، وبهذا التعبير نبه النبي ﷺ إلى هؤلاء الذين يدعون بعده ، ويستعملون سلاح الدجل والتليس متظاهرين بالإسلام ، محاولين تغيير العقائد الإسلامية ليلبسوا به على بعض الجهلة ولكيلا تقع الأمة في هذا الخداع قال : **« أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ . »** وقد حدث ما أخبر به النبي ﷺ فظهر ناس في التاريخ ادعوا النبوة متظاهرين بالإسلام ، عاملين بالدجل والتليس لترويج دعواهم ، ولكن أمة محمد ﷺ ، كانت دائماً على بينة من كتاب ربها وستة نبيا ﷺ ، فكلما ظهر متنبئ في التاريخ وادعى النبوة أجمعت على كفره وإخراجه عن دائرة الإسلام ، وكلما قدمت قضية المتنبئ إلى حكومة إسلامية أصدرت الحكم بكفره وعاملته معاملة الكفار ، ولم تطلب منه دلائل على النبوة التي يزعمها سواء أكان ذلك مسليمة الكذاب ، أم الأسود الغصني ، أم سجاح ، أم ضليحة أم رشاد خليفة ، أم غيرهم ممن ادعوا النبوة قديماً وحديثاً لأن عقيدة ختم النبوة في وضوحها وقضيتها يمكن لا تقبل أى تأويل ، والخلاصة أن الأمة الإسلامية متفقة على ختم النبوة بمحمد رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء وأن من جاء مدعياً النبوة بعده فهو كاذب ، ومصدقه كافر ، وعلى هذا فالهائية وأتباعه والقاديانية وأصحابها كفار -

فضائل الخلفاء الراشدين

وأفضل أمته أبو بكر الصديق ^(١) ، ثم عمر الفاروق ^(٢) ، ثم عثمان ذو النورين ^(٣) ، ثم علي المرتضى ^(٤) - رضى الله عنه - لما روى عن عبد الله بن عمر ^(٥) - رضى الله عنهما - قال : « كنا نقول والنبي ﷺ حى : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره » ^(٦) .

وصحت الرواية عن علي - رضى الله عنه - أنه قال : « خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت سميت الثالث » ^(٧) .

بالإجماع لعدم إيمانهم بختم نبوة رسول الله ﷺ . فاعتقد أخوا الإسلام - بأن محمداً خاتم الرسل وسيد الأنبياء - وعض على ذلك بالنواجذ وإياك والدجالين الكذابين .

(١) هو الصحابي الفضال الجليل أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة ، خليفة رسول الله ، ومؤنسه في الغار رضوان الله تعالى عليه . له - رحمة الله عليه - ترجمة في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٧ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٢/١ ، وابن العماد في شذرات الذهب ٢٧/١ ، وابن سعد في الطبقات ٣ / ١١٩ .

(٢) هو الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبو حفص الفاروق ، كان الخليفة الثاني لرسول الله ﷺ ، وسيرته أكبر من أن يخصها كتاب ، راجع ترجمته في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٨ ، وتذكرة الحفاظ ٥/١ ، وطبقات القراء لابن الجزري ٥٩١/١ ، والنجوم الزاهرة ٧٨/١ .

(٣) هو ذو النورين الصحابي الكريم عثمان بن عفان أبو عمرو الأموي الذي له الفضل في جمع الأمة على مصحف واحد ، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة عاش بضعا وعشرين سنة . انظر ترجمته في أسد الغابة ٣/٥٨٤ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٤٧ ، وتذكرة الحفاظ ٨/١ ، وطبقات القراء للذهبي ٢٩/١ .

(٤) هو أمير المؤمنين ، وصهر خاتم النبيين الصحابي الكريم علي بن أبي طالب الذي له كل التقدير في علمه وعمله وخلقه . استشهد في رمضان وسنة ستون سنة . انظر ترجمته في تاريخ الخلفاء ١٦٦ ، وتذكرة الحفاظ ١٠/١ ، والنجوم الزاهرة ١١٩/١ ، والإصابة ١٠٥/٢ ، وأسد الغابة ٩١/٤ .

(٥) هو الصحابي الجليل ابن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن أحد الأعلام في العلم والعمل ، شهد الخندق وهو من أهل بيعة الرضوان ، ومناقبه جمّة ، ويكفيه فخراً ثناء النبي ﷺ ، توفي ابن عمر سنة أربع وسبعين هـ . راجع ترجمته في أسد الغابة ٣/٣٤٠ ، وتذكرة الحفاظ ٣٧/١ ، وطبقات القراء لابن الجزري ٤٣٧/١ .

(٦) إسناده صحيح . وفيه زيادة : « فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره » وهي زيادة ثابتة ، فإنها وردت من طريق ابن أبي أويس وفيها عن عبد الله بن عمر قال : « فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره » والحديث أخرجه أحمد في المسند ٢/١٤ ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة حديث ١١٩٥ ، ١١٩٦ .

(٧) حديث صحيح . أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ص ٥٥٦ حديث ١٢٠١ ، وقال الألباني : أخرجه عبد الله بن أحمد ١٠٦/١ . وفي رواية أخرى ، « فما معنى أن أسأله عن الثالث إلا خشية أن يعدها عن نفسه » .

وروى أبو الدرداء ^(١) عن النبي ﷺ أنه قال : « ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر » ^(٢) .

وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته ، وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة - رضى الله عنهم - وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة ^(٣) - ثم من بعده عمر

(١) أبو الدرداء هو الصحابي الجليل عويمر بن زيد الأنصاري الخزرجي ، كان يقال له حكيم الأمة ، شهد أحد ، وأبلى يومها بلاء حسناً ، وكان عالم الشام ومقرئ أهلها . مات - رضوان الله عليه - سنة اثنين وثلاثين هـ . له ترجمة في تذكرة الحفاظ ٢٤/١ ، وطبقات القراء لابن الجزري ٦٠٦/١ ، والعبر ٣٣/١ ، والنجوم الزاهرة ٨٩/١ .

(٢) ورد هذا الحديث بألفاظ متقاربة في كتاب السنة لابن أبي عاصم باب ما ذكر من فضائل أبي بكر الصديق ص ٥٦٢ حديث رقم ١٢٢٤ .

(٣) كانت خلافة أبي بكر الصديق - رضوان الله عليه - للمسلمين عن استحقاق وجدارة ، فقد قدمه رسول الله ﷺ لإمامة المسلمين في الصلاة أثناء مرضه ، وهذه إشارة لطيفة إلى أنه رضى للإمامة في الدين ، فهو بذلك لإمامة المسلمين في شئون دنياهم أجدر .

واليك قصة توليته الخلافة بعد وفاة رسول الأمة ﷺ :

فقد صلى أبو بكر بالمسلمين الصبح ، وكان إذ ذاك قد أفاق الرسول ﷺ إفاقة من غمرة ما كان فيه من الوجع ، وكشف سترة الحجرة ، ونظر - ﷺ - إلى المسلمين وهم صفوف في الصلاة خلف أبي بكر ، فأعجبه ذلك ، وتبسم ، حتى هم المسلمون أن يتركوا ما هم فيه من الصلاة لفرحهم به ، وحتى أراد أبو بكر أن يتأخر ليصل إلى الصف ، فأشار إليهم - ﷺ - أن يمشوا كما هم ، وأرخى الستارة ، وكان آخر المهدي به ﷺ ، فلما انصرف أبو بكر من الصلاة دخل عليه ، وقال لعائشة : ما أرى رسول الله ﷺ إلا قد أقلع عنه الوجع ، وهذا يوم بنت خارجه - يعني إحدى زوجتيه - وكانت ساكنة بالسبع شرق المدينة ، وتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى .. فذهب سالم بن عبيد وراء الصديق فأعلمه بموت رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر إلى منزل عائشة ، فكشف عن وجه النبي ﷺ ، وأكب على وجهه يقبله وقال : « بأبي أنت وأمي يا رسول الله طبت حيا وميتا » . ثم خرج إلى الناس في المسجد ، فرق الخبر ثم قال بعد حمد الله والثناء عليه : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .. إلى آخر الخطبة المعروفة .

ثم إنه بعد دفن النبي ﷺ اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة يتشاورون في أمر الخلافة ، وبلغ ذلك المهاجرين ، فقالوا نرسل إليهم يأتونا . فقال أبو بكر : بل نمشي إليهم . فقال بعض الأنصار : منا أمير ومنكم أمير . فقال أبو بكر كلاماً مصيباً منه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، وأخذ التشاور مجرى حتى سلم الجميع بالخلافة لأبي بكر وبايعوه حتى صار أميراً وخليفة لرسول الله ﷺ .

بقي أن أقول : إن هناك بعض الروايات التي ثبت أن علياً بن أبي طالب امتنع عن مبايعة أبي بكر ولم يرض عن المبايعة له . فاعلم أنها روايات كاذبة ، وأن علياً كرم الله وجهه بايع أبا بكر على الخلافة ورضيه =

- رضى الله عنه - لفضله^(١) ، وعهد أبى بكر إليه . ثم عثمان - رضى الله عنه^(٢) - لتقديم أهل الشورى له . ثم على - رضى الله عنه^(٣) - لفضله وإجماع أهل عصره عليه ، وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواخذ »^(٤) .

وقال ﷺ : « الخلافة من بعدى ثلاثون سنة »^(٥) .

فكان آخرها خلافة على رضى الله عنه .

خليفة للمسلمين رضوان الله عليهم جميعاً . انظر تفصيل ذلك في البداية والنهاية لابن كثير ٢٤٤/٥ والعواصم من القواصم لأبى بكر بن العرى .

(١) وردت عدة أحاديث صحيحة عن النبى ﷺ تبين فضائل ومناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - منها ما أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد كان قبلكم محدثون (أى ملهون) فإن بك فى أمتى فحمر » .

هذا ولقد استخلفه أبو بكر - رضوان الله عليه - ليكون خليفة للمسلمين ، فإنه لما مرض أبو بكر ، وأحس بدنو أجله أرسل إلى عمر واستخلفه على المسلمين ، ووافق المسلمون جميعاً على هذا الإستخلاف ، بل وخرجوا إلى المسجد لمبايعته رضوان الله عليه ، وقد ظهرت بركة الإسلام فى عهده كما كانت فى عهد سلفه أبى بكر ، فحكم بين المسلمين بالعدل ، وكان نعم الحاكم الذى ضنت الدنيا أن تأتى بمثله .

(٢) عثمان بن عفان هو الخليفة الثالث للمسلمين ، وقد شهد له الرسول ﷺ بظهارة السيرة ، وحسن الخاتمة ، وهو جدير بهذه الخلافة وهذا الفضل ، فقد قال عبد الله بن مسعود حين بويع عثمان « بايعنا خيرنا ولم نأل » ووصفه على بعد انقضاء أجله بقوله : « كان عثمان أوفى لنا للرحم ، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين » . وكل ما قيل فى عثمان من مساوىء فمكذوب عليه وباطل فلا تنظر إليه .

(٣) فضائل على بن أبى طالب وفيرة فيكفيه شرفاً أنه أول من آمن من الصبيان ، وأنه صهر رسول الله ﷺ وابن عمه ، وقد أجمع أهل عصره على إمامته وفضله .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) حديث صحيح . ذكره السيوطى فى الجامع الصغير وعزاه إلى أحمد والترمذى وابن حبان ، وقال الألبانى : صحيح . انظر صحيح الجامع ٦٣٠/١ حديث ٣٣٤١ ، والسلسلة الصحيحة حديث ٤٦٠ .

المبشرون بالجنة

ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي ﷺ فقال : « أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلى في الجنة ، وطلحة في الجنة ،^(١) والزبير^(٢) في الجنة ، وسعد^(٣) في الجنة ، وسعيد^(٤) في الجنة ،

(١) هو الصحابي الجليل أبو محمد طلحة بن عبيد الله الملقب بطلحة الخير . يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ في مرة بن كعب ، أسلم طلحة في بداية الدعوة ، فكان بذلك من السابقين إلى الإسلام . كما أنه كان أحد أبطال غزوتي بدر وأحد ، بشره النبي ﷺ بالجنة وأثنى عليه ثناء حسناً . قتل رضوان الله تعالى عليه يوم الجمل في جمادى الآخرة سنة ٣٦ هـ . وكان له من العمر أربع وستون سنة .

(٢) هو الصحابي الجليل المشهود له بالجنة الزبير بن العوام القرشي الأسدي ، يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ في قضى بن كلاب ، شهد الزبير بديراً والحديبية والمشاهد كلها ، لم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ ، كما أنه أحد الستة أهل الشورى الذين قال عمر بن الخطاب فيهم : « توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض » وفيه يقول حسان بن ثابت شاعر الرسول :

أقام على عهد النبي وهدية	حواريه والقول بالفعل يمدل
أقام على مناجاه وطريقه	يوالى ولي الحق والحق أعذل
هو الفارس المشهود والبطل الذي	يصول إذا ما كان يوم محجل
له من رسول الله قرى قريبة	ومن نصرة الإسلام مجد مؤئل

قُتِلَ الزبير بن العوام - رضى الله عنه - في موقعه الجمل يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين هـ .

(٣) هو الصحابي الفضال ، والبطل المغوار سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف الشهير بسعد بن أبي وقاص ، أسلم على يد أبي بكر الصديق في بداية الدعوة وهو ابن تسع عشرة سنة ، وكان سابع ستة دخلوا دين الله وهاجروا رسوله ، وقصة إسلامه مشهورة ، وهى تدل على صلابة عقيدته ، وصموده أمام العقبات والتحديات ، وهو أول من رمى بنسبه في الإسلام ، ولم يختص رسول الله ﷺ أحداً بأبويه غيره ، فمن على كرم الله وجهه قال : « ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد غير سعد بن مالك ، فإنه جعل يقول له يوم أحد ، : « فذاك أبى وأمى » أخرجه مسلم ، فضائل سعد ومناقبه لا تحصى ، ويكفيه فخراً أنه أحد للمبشرين بالجنة . مات سعد بن أبى وقاص بالعقيق على بعد عشرة أميال من المدينة ، وحُمل على أحناق الرجال إلى المدينة ، ودفن بالبقيع ، وكان ذلك سنة خمس وخمسين من الهجرة العطرة .

(٤) هو الصحابي النقي السعيد بن زيد القرشي العدوي ، يجتمع مع رسول الله ﷺ في كعب بن لؤى ، كما أن عمر بن الخطاب ابن عم أبيه ، كان زيد والد سعيد يطلب دين الخفية دين إبراهيم قبل أن يبعث النبي ﷺ ، وكان لا يذبح للأصنام ، ولا يأكل الميتة ولا الدم ، ومات زيد في الفترة قبل بعثة النبي ﷺ . وسعيد بن زيد الصحابي الجليل أسلم في بداية أمر الدعوة هو وزوجه أم جميل بنت الخطاب أخت عمر ، وهاجر هو وزوجه ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا بديراً ، وكان زاهداً عابداً ، وبشره لى الأمة ﷺ بالجنة . توفى - رضوان الله عليه - بالعقيق ، ودفن بالمدينة سنة إحدى وخمسين هجرية وهو ابن بضع وسبعين سنة .

وعبد الرحمن بن عوف ^(١) في الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح ^(٢) في الجنة » ^(٣) .

وكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة شهدنا له بها كقوله : « الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة » ^(٤) .
وقوله لثابت بن قيس : « إنه من أهل الجنة » ^(٥) .

(١) هو الصحابي الطاهر التقى المجاهد أبو محمد عبد الرحمن بن عوف ، أسلم قديماً قبل أن يدخل النبي ﷺ دار الأرقم ، وكان ذلك على يد أنى بكر الصديق ، وهاجر إلى المدينة ، وعمل بالتجارة في سوق المدينة ، فكان أميناً عارفاً بحقوق الله ، شهد الغزوات كلها مع رسول الله ﷺ وهو أحد الثانية الذين سبقوا بالإسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وكان عمر بن الخطاب كثيراً ما يرجع إلى رأيه في كثير من الأمور ، كما أن ابن عوف كان كثير التصديق بماله في سبيل الله ، توفي رضوان الله عليه سنة إحدى وثلاثين هجرية ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، ودفن بالبقيع ، وصلى عليه عثمان ، وكان أوصى بذلك .
(٢) هو أمين الأمة وصاحب رسول الله ﷺ أبو عبيدة بن الجراح ، يجتمع مع رسول الله ﷺ في فقهه بن مالك . أسلم قديماً مع عثمان بن مظعون على يد أنى بكر الصديق ، كان - رضوان الله عليه - رجلاً طويلاً نحيفاً ، هاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ، ثم هاجر إلى المدينة ، وقد اختصه النبي بأنه أمين هذه الأمة ، فمن أنس بن مالك - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » (أخرجه البخاري ومسلم) ، وقد شهد أبو عبيدة مع النبي ﷺ بدرأ ومابعدهما من المشاهد كلها ، وشهد بيعة الرضوان ، وقتل أبوه يوم بدر كافراً ، وكان أبو عبيدة زاهداً شديد الخوف من الله متواضعاً مات - رضى الله عنه - في طاعون « عمواس » بالأردن من الشام سنة ثمان عشرة في خلافة عمر بن الخطاب ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وصلى عليه معاذ بن جبل .

(٣) الحديث صحيح . أخرجه أحمد في المسند ١٨٧/١ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ٦/١ وعزاه إلى الضياء والترمذي ، وانظر صحيح الجامع الصغير ٧١/١ حديث رقم ٥٠ .
(٤) حديث صحيح . أخرجه أحمد في المسند ٣/٣ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٨٢ ، وعزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى الطبراني في الكبير ، وكذلك في الأوسط ، وابن عدى في الكامل ، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني ٧٩٦ ، وصحيح الجامع الصغير ٦٠٧/١ حديث رقم ٨١٣٠ .

(٥) هو الصحابي الجليل ثابت بن قيس بن سماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس ، يعرف ثابت بخطيب الأنصار ، شهد أحداً وما بعدها ، وبشره النبي ﷺ بالجنة ، وكان صاحب مناقب وفضائل ، ومن فضائله ما رواه الترمذي بإسناد حسن « نعم الرجل ثابت بن قيس » قتل رضوان الله تعالى عليه في معركة الجمامة انظر أسد الغابة ٧٤/١ ، والإصابة ١٩٥/١ . بقی أن نقول : إن أصل هذه البشارة حديث أخرجه الحاكم في مستدرکه ٢٣٤/٣ بإسناد صحيح ، والمتقى الهندي في كنز العمال ٦٥٩/١١ حديث ٣٣١٨٣ ولفظه قال رسول الله ﷺ : « يا ثابت ! ألا ترضى أن تعيش حميداً ، وتقتل شهيداً وتدخل الجنة » . فرحمة ونوراً لروحه الطاهرة .

الحذر من تكفير الناس

ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول ﷺ^(١) لكننا نرجو للمحسن ، ونخاف على المسيء ، ولا نكفر أحداً من أهل القبلة

(١) اتفق أهل السنة والجماعة على أنه لا يجوز لمسلم أن يكفر من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ذلك أن الإسلام يطالبنا أن نأخذ بالظاهر والله يتولى السرائر ، فكل من شهد أنه لا إله إلا الله ، يعد من المسلمين مهما ارتكب من معاصي ، وفعل من ذنوب ، مادام لم يشرك بالله ولم يتخذ معه آله أخرى ، فقد قال تبارك اسمه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

والحق أنه لم تظهر هذه الظاهرة الخطيرة - أعني ظاهرة التكفير - إلا مع ظهور الخوارج الذين لم يرتضوا التحكيم بين علي ومعاوية وخرجوا عليه ثم حكموا عليه بالكفر ، ومع ذلك لم يكفروهم على فإنه لماسئل عنهم قال : إخواننا بغوا علينا . والذي ينبغي علينا أن نعلمه أن الكفر في لغة القرآن قد يراد به الكفر الأكبر ، وهو الذي يخرج الإنسان من الملة ، ويوجب له الخلود في النار . وقد يراد به الكفر الأصغر ، وهو الذي يوجب لصاحبه الوعيد دون الخلود في النار ، ولا ينقل صاحبه من ملة الإسلام . إنما يدمغه بالفسوق أو العصيان .

فالكفر بالمعنى الأول : هو الإنكار أو الجحود التعمد لما جاء به محمد ﷺ أو بعض ما جاء به مما علم من دينه بالضرورة .

والكفر بالمعنى الثاني : يشمل سائر المعاصي التي يخالف بها أمر الله ، أو يرتكب بها ما نهى عنه ، وفيه جاءت أحاديث كثيرة ، مثل قوله ﷺ : « من حلف بغير الله فقد كفر » وقوله : « سباب المسلم فسوق وقاله كفر » و « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » فإن الكفر الوارد في هذه النصوص وأمثالها ليس كفراً ناقلاً عن الملة ، والدليل على ذلك : أن بعض الصحابة تقاتلوا ولم يكفر بعضهم بعضاً . كما أثبت القرآن الكريم إيمان الطائفتين المقتلتين فقال سبحانه : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلَا ﴾ ومثل ذلك قوله ﷺ : « من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » ونحوه وما زال الناس في مختلف الأزمنة يحلفون بغير الله ، ويصدقون الكهان والعرافين ، ولم يعتبرهم أهل العلم طوال القرون الماضية كفاراً مارقين من الإسلام ، ولم يحكموا بردمهم ، ولكنهم ينكرون عليهم ويحذرونهم من عصيان الله ، وعلى هذا فإن المعاصي والكبائر - وإن أصر صاحبها عليها ولم يتب منها - تخدش الإيمان وتنقصه ، ولكنها لا تنفيه عنه بالكلية ، والدليل على ذلك ما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب : أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله ، وكان يلقب حمراً ، وكان يضلجك رسول الله ﷺ قد جلده في الشرب - يعني شرب الخمر - فأق به يوماً ، فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم : اللهم العنه ، ما كفر ما يؤق به ! فقال النبي ﷺ : « لا تلحوه فوالله ما علمت أنه لا يجب الله ورسوله » ، وفي بعض الروايات « ما علمت إلا أنه يجب الله ورسوله » .

فهذا مع إدماجه الشرب ، وإصراره عليه ، ينهى النبي عن لعنه ، ويقرر أنه يجب الله ورسوله ، ولقد وصل =

بذنب ، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل ، ونرى الحج والجهاد ماضيا مع طاعة كل إمام برأ كان أو فاجراً وصلاة الجمعة خلفهم جائزة .

قال أنس^(١) : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من أصل الإيمان : الكف عن قال لا إله إلا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل ، والجهاد ماض منذ بعثني الله عز وجل حتى يقاتل آخر أمتي الدجال لا يظله جور جائر ولا عدل عادل ، والإيمان بالأقدار »^(٢) .

لا تسبوا أصحاب النبي

ومن السنة تولى أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم ، وذكر محاسنهم والترحم عليهم ، والاستغفار لهم ، والكف عن ذكر مساوئهم ، وما شجر بينهم . واعتقاد فضلهم ، ومعرفة سابقتهم^(٣) . قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ

= الأمر إلى أن هذا الرجل شرب وضرب خمسين مرة كما نقل الحافظ ابن حجر عن ابن عبد البر ، ويعني ابن حجر على هذا الحديث مبيناً فوائده في « الفتح » قائلا : « فيه الرد على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر ، لثبوت النبي عن لعنه ، بل والأمر بالدعاء له . وفيه أن من تكررت منه المعصية لانتزع منه حجة الله ورسوله .

ومن هنا يجب علينا أن نعتقد أنه لا يجوز تكفير المسلم بالذنب ، ولا نخطأ خطأ فيه ، وأن تعلم أن الحكم على المسلم بخروجه من دين الإسلام ، ودخوله في الكفر لا ينبغي أن نقده عليه إلا بيهان أوضح من شمس النهار كأن أنكر معلوماً من الدين بالضرورة لأن « من قال لأخيه ياكافر ، فقد باء بها أحدهما » فلنتنبه لهذا ، ولنحذر من الإقدام على هذا الفعل ، والله يتولانا برحمته وإحسانه .

(١) هو الصحابي الجليل ، خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصاري ، أحد كبار الصحابة ، وأعلام الحديث ، دعا له رسول الله ﷺ بقوله : « اللهم أكثر ماله ، اللهم أكثر ولده اللهم أدخله الجنة » ، مات رضوان الله تعالى عليه سنة ثلاث وتسعين من الهجرة ، انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ٤٤/١ ، وطبقات القراء لابن الجزري ١٧٢/١ ، والعبر ١٠٧/١ ، والإصابة ٨٤/١ .
(٢) حديث ضعيف . أورده السيوطي في الجامع الصغير ١٣٨/١ وعزاه إلى أبي داود ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٥٢/٣ حديث ٢٥٣١ ، وانظر مشكاة المصابيح للبريزي كتاب الإيمان ٢٥/١ باب الكيابر وعلامات النفاق حديث رقم ٥٩ .

(٣) الصحابة : جمع صحابي ، والصحابي هو كل من لقي النبي ﷺ ولو صغيراً . وأصحاب رسول الله ﷺ هم صفوة خلق الله ، وهم مشاغل الهداية ، وأعلام الإسلام ، والمدافعون عن دينهم ، والناصرون لنبيهم ، أجمع أهل السنة والجماعة على أنه يجب على كل مسلم تركيبتهم بإثبات العدالة لهم ، والكف عن الطعن فيهم ، وكثرة الثناء عليهم ، فقد أثبت الله لهم الخيرية على سائر الأمم ، ولا شيء .

=مادل شهادة الله لهم بذلك ، لأنه - تبارك وتعالى - أعلم بعباده ، وما انطوا عليه من الخيرات ، قال تعالى : ﴿ كمْ مخر أمة أخرجت للناس ﴾ ومادل قد شهد الحق لهم بأنهم خير الأمم ، وجب على كل أحد اعتقاد ذلك ، والإيمان به ، وإلا كان مكذباً لله تعالى في إخباره ، ولا شك أن من ارتاب في حقيقة شيء مما أخبر به الله أو رسوله كان كافراً بإجماع المسلمين ، هذا ولقد وردت نصوص قرآنية كثيرة توضح فضل الصحابة وتبين مكانتهم ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين ابصروهم بإحسان ﴾ رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جئات تجري تختها الأنهار خالدون فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ وقوله تبارك اسمه : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رؤساء بينهم تراهم رؤساءً مستجداً يعطون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك منهم في الثرة ومظهم في الإنجيل كرزع أخرج شطة فآزرة فاسطظ فاستوى على سوقه ليحجب الزراع ليحظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأخرى عظيمة ﴾ وقوله عز اسمه : ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهلوا في سبيل الله والذين ءازوا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ والآيات في ذكر محاسنهم وفضائلهم رضوان الله عليهم أكثر من أن تحصى ، وكفاهم فخراً وشرفاً تصرع الله تعالى برضاه عنهم ، واختياره إياهم لصحة نبيه ﷺ فهم عدول أبرار أطهار . قامت دعوة الحق سبحانه وارتفعت رايها في أنحاء البسيطة بفضل جهادهم في نشرها وبيهم الدنيا وما فيها برضا الله تعالى عنهم .

هذا ، ولقد حدثت بعض الأشياء بين بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - جعلت مرضى القلوب في القديم والحديث يكيلون لهم التهم ، ويلعنونهم ويسبونهم ، وذلك مثلما حدث بين على بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبى سفيان في موقعة الجمل وغيرها - رضوان الله عليهما .

والحق أن هذا الذى حدث بينهما لم ينقص من شأن أحدهما ، فعلى من المبشرين بالجنة على لسان نبي الأمة ﷺ ، ومعاوية من أهل الرضوان ، وكتاب الوحي ومن أصحاب رسول الأمة ، وقد أجمع أهل السنة على فضليهما ، وقالوا : إن ما شجر بينهم يجب أن نتوقف فيه ، وأن نتركه ، فهم متأولون مجتهدون ، وهم مع ذلك ليسوا بمعصومين من كبار الذنوب وصغارها ، ولكن ما لهم من السوابق والفضل وضحة رسول الله ﷺ والجهاد معه قد يوجب مغفرة ما يصدر عنهم من زلات فهم بشهادة رسول الله ﷺ خير القرون وأفضلها ، ومُد أحدهم أو نصفه خير وأفضل من جبل أحد ذهباً يتصدق به من بعدهم .

وبسبب الجهل والبغاء والوقاحة الخلقية انتشرت ظاهرة سب الصحابة في القديم والحديث ، وعمد البعض إلى تشويه سيرتهم ، وتسويد صحائفهم ، والدس عليهم ، والمطلع الذكى يرى أن الآثار المروية في مساوئهم كلها كذب أو محرف عن وجهه ، وأن الذين يقودون حملة سب الصحابة - قديماً وحديثاً - ما هم إلا أراذل الناس وسفلةم ، وأقلهم ديناً وعقلاً ، وإن سُوا في العصر الحديث عند من لا فهم له بالمفكرين العظام الكبار . ولابد لنا أن نبين الآن حكم الإسلام فيما سب صحابة رسول الله ﷺ الأطهار . فقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن سب أحد من أصحاب رسول الله ﷺ . فقال : ه من سب أحد من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل البيت وغيرهم ، فقد أطلق الإمام أحمد أنه يضرب ضرباً نكالا ، وتوقف عن قتله وكفره . قال أبو طالب : سألت أحمد بن حنبل عن سب الصحابة فقال : القتل أجبن عنه ، ولكن اضربه ضرباً نكالا . وقال الميموني : سمعتُ أحمد يقول : ما لهم وما لمعوبة نسأل =

بَعْدَهُمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴿١﴾

وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢) .

وقال النبي ﷺ : « لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي ، فَإِنْ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ مَا أُحْدِثَ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفُهُ » (٣) .

أمهات طاهرات

ومن السنة الترضى عن أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات (٤)

= الله العافية ثم قال لي : يا أبا الحسن إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام ، وقال اسحاق بن راهويه : من شتم أصحاب النبي ﷺ يعاقب ويحبس وهذا قول كثير من أصحابنا . والخلاصة أن من أصناف السبابة من لا ريب في كفره ، ومنهم من لا يحكم بكفره ، وذلك حسب مقولته « فاحذر - أيها المسلم - ما يردده بعض مرضي القلوب اليوم من أعداء الصحابة ، ولا تلتفت إلى ما يثيرون به من لاعقل لهم تجاه هذه الصفوة المختارة الصالحة أشرف الخلق ﷺ . ولكي تعرف كذب الآثار المروية التي تذكر مساوئ الصحابة والرد عليها فإني أحيلك إلى كتاب من أعظم ما كتب في هذا الموضوع ألا وهو كتاب « العواصم من القواصم » للقاضي الكبير والمفسر العملاق أبي بكر بن العربي التوفى سنة ٥٤٣ هـ .

(١) الحشر : ١٠ .

(٢) الحديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة ١/١٩٦٧ ،

١٩٦٨ ، والمهشمي في مجمع الزوائد ١٠/٢١ ، ومعنى قوله ﷺ : « وَلَا نَصِيفُهُ » قال أهل اللغة : النصف النصف ، وفيه أربع لغات : نِصْف ، ونُصْف ، ونُصْف ، ونَصِيف حكاها القاضى عياض عن الإمام الخطائى - رحمه الله تعالى ..

(٤) أزواج النبي ﷺ هن من تزوجهن بنكاح صحيح ، فأولهن خديجة بنت خويلد - رضوان الله عليها - تزوجها - ﷺ بمكة المكرمة قبل البعثة ، وكانت سنة خمساً وعشرين ، وكانت تكبره بخمسة عشر عاماً ، ولم يتزوج - صلوات الله عليه وسلامه - عليها حتى توفيت ، وقد رزق منها بكل أولاده إلا إبراهيم ، وكانت أول من آمن به ، وقواه على احتمال أعباء الرسالة ، وقد ماتت - رضوان الله عليهما - قبل الهجرة بثلاث سنين عن خمس وستين سنة ، فتزوج بعدها أم المؤمنين سودة بنت زمعة ، وعقد على عائشة - رضوان الله عنها وعن أبيها - وكانت بنت ست سنين ، حتى إذا هاجر إلى المدينة بنى بها وهى بنت تسع ، ومن زواجه ﷺ أم سلمة والتي تزوجها بعد موت زوجها الصحابي الجليل أبي سلمة ، ومنهن زينب بنت جحش ، تزوجها بعد تطليق زيد بن حارثة لها ، أو على الأصح زوجها الله إياها ، وجويرية بنت الحارث ، وصفيّة بنت حُصَيٍّ ، وحفصة بنت الفاروق عمر بن الخطاب ، وزينب بنت خزيمة . وكلهن أمهات المؤمنين ، وهن أزواجه ﷺ في الآخرة .

(٩) الميراث من كل سوء ، أفضلهن خديجة بنت خويلد (ؓ) وعائشة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه (ؓ) ، زوج النبي (ﷺ) في الدنيا والآخرة فمن قذفها بما

(١) وردت أحاديث جمّة صحيحة تبين لنا فضائل أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ، وتوضح أنها أفضل زوجات الرسول العظيم صلوات الله عليه وسلامه ، ومن ذلك ما أخرجه البخارى فى صحيحه ٣١٥/٢ عن عائشة - رضى عنه - قالت : « ما غرت على أحد من نساء النبي (ﷺ) ما غرت على خديجة ، وما رأيتها ، ولكن كان النبي (ﷺ) يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ، ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبعثها فى صدائق خديجة ، فربما قلت له : كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول : « إنها كانت وكانت ، وكان لى منها ولد » . وروى البخارى من حديث أنى مريم قال : أتى جبريل النبي (ﷺ) فقال : « يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى ، وبشرها بيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » ، وعن عن كرم الله وجهه قال : عن النبي (ﷺ) قال : « خير نساها مريم ، وخير نساها خديجة » ، رواه البخارى . وهناك نصوص أخرى ومبررة توضح فضائل أم المؤمنين خديجة رضوان الله عليها .

(٢) عائشة بنت الصديق من أمهات المؤمنين كما ذكرت لك آنفاً ، وهى من صوحيبات الفضائل ، وقد دلت السنة الصحيحة على فضلها وكرمها ، ويكفيها شرفاً وفخراً براءة القرآن لها من كل دنس وشبهة كما سيأتيك بعد قليل ، فمن الأحاديث التى تورد فضائل عائشة ما رواه البخارى عن أنى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله (ﷺ) : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » . والثريد هو الخبز المخلوط بلحم ، وقد وصفه الشاعر العربى بقوله :

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذلك أمانة الله الثريد

وعنها رضوان الله عليها قالت : قال لى رسول الله (ﷺ) يوماً : « يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام . فقلت : وعليه السلام . يا رسول الله ترى ما لا أرى . أخرجه البخارى ٣٠٨/٢ ، ومعنى قوله : « يا عائش » أسلوب ترخيم تعارف عليه العرب أى يا عائشة . مرضوان الله عليها وعلى أمهات المؤمنين .

(٣) يشير بذلك إلىحادثة الإفك الذى رماها به المنافقون ، والذي تولى كبره شيخ المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول عليه لعنة الله ، ومجمل هذا الحادث : أن رسول الله (ﷺ) ، كان إذا أراد أن يخرج سفراً قام بعمل قرعة بين نساؤه فأبين خرج سهمها خرج بها رسول الله (ﷺ) ، وفى يوم من الأيام أراد السى أن يخرج لغزو بنى المصطلق ، فقام بإجراء القرعة بين نساؤه فجاءت القرعة لأصالح السيدة عائشة فسافرت معه ، وبعد انتهاء الغزوة ضاع منها عقدها ، فتخلفت فى طلبه . وحمل هودجها على أنها فيه . وسار القوم ، ولما رجعت لم تجدهم ، فحككت فى مكانها ظناً منها أنهم سيفقدوها . وأخذها النوم ، فمر صفوان ابن المعطل السلمى ، وكان وراء القوم ليلتقط ما تبقى وما يتخلف منهم ، فرآها فعرّفها معرفته بها قبل أن يضرب الحجاب ، فبرك ناقته ، وولاهما ظهرها . وحملها على الناقة وقادها إلى رسول الله (ﷺ) حيث إن صفوان لحق بالقوم فى الطريق ، فرموا بصفوان ، ونشأ ذلك بين المنافقين وضعفاء الإيمان ، وشق ذلك على النبي (ﷺ) وقال : « والله ما علمت عليها إلا خيراً » وأنزل الله براءتها بما رميت به فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ الآية من سورة البقرة . فله رسول الله

برأها الله منها فقد كفر بالله العظيم .

ومعاوية خال المؤمنين^(١) ، وكاتب وصى الله ، وأحد خلفاء المسلمين رضى الله عنهم . ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم مالم يأمرؤا بمعصية الله ، فإنه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، ومن ولى الخلافة واجتمع عليه الناس ورضؤا به أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين^(٢) .

= **عَنْ اللَّهِ شَكَرًا** لله تعالى . فاعتقد أئى المسلم فى براءتها فمكرر البراءة كافر لتكذيبه بما جاء فى القرآن راجع حديث الإفك فى صحيح مسلم ، وصحيح البخارى ، وفى كتابى « الثلاثة الذين تكلموا فى المهدي » ص ١٠٨ وما بعدها .

(١) هو الصحابى الجليل ، أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان بن حرب كاتب الوحى ، وصاحب الفضائل التى لا حصر لها ، ومن مزايه وخصاله أن عمر بن الخطاب جمع له الشامات كلها وأفرده بها ليكون واليا عليها ، لما رأى من حسن سياسته ، وقد أصبحت تحت قيادته أقوى قوة فى الإسلام ، وهى طليعة جيوش الجهاد والفتوح الظافرة الداعية إلى الله بأخلاقها وسيرتها وحكمة قائدها معاوية ، وقد مدحه علماء الإسلام مدحا يدل على فضله - رضوان الله عليه - فقد قال العلامة ابن كثير فى « البداية والنهاية » ١١٩/٨ : « لقد بلغ من همة معاوية وعظيم شأنه حمايته لحدود الإسلام وبلاده أنه أرسل يهدد ملك الروم - وهو فى معصمة القتال مع علي فى صفين - وقد بلغه أن ملك الروم اقترب من الحدود فى جنوب عظيمة ، فكتب إليه يقول : « والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك لأصطلحن أنا وابن عمى عليك ، ولأخرجنك من جميع بلادك ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت » فخاف ملك الروم وانكف .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة ٣/ ١٨٥ : « لم يكن من ملوك الإسلام خيرا من معاوية ، ولا كان الناس فى زمان ملك من الملوك خيرا منهم فى زمن معاوية ، إذا انتسب أيامه إلى أيام من بعده » وهذه الشهادة من هؤلاء الأئمة الأعلام لأمر المؤمنين معاوية صدى استجابة الله عز وجل لدعاء نبيه ﷺ لهذا الخليفة الصالح يوم قال : « اللهم اجعله هاديا مهديا واهدا به » رواه الترمذى وحسنه وهو صحيح الإسناد كما فى مشكاة المصابيح .

وقوله : « خال المؤمنين » إشارة إلى أنه - رضى الله عنه - أخ لأم المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان فهو على ذلك خالهم .

(٢) وذلك لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وقد حذر النبى فى كثير من أحاديثه من الخروج على الإمام كيلا تحدث فتنة ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة .

هجران أهل البدع

ومن السنة هجران أهل البدع^(١)، ومباينتهم، وترك الجدل والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة^(٢) والإصغاء إلى كلامهم، وكل

(١) وردت آثار كثيرة لا حصر لها تدعو إلى الابتعاد عن أهل البدع وبدعهم، وجدير بنا قبل أن نذكر الآثار الدالة على ذلك أن نتحدث عن معنى البدعة لغة وشرعاً فقد قال الإمام أبو شامة الشافعي في كتابه «الباعث على إنكار البدع والحوادث»: «فإن قيل: ما معنى البدعة؟ قلنا: أصل هذه الكلمة من الاختراع، وهو الشيء يحدث من غير أصل سبق ولا مثال يحذى، ولا ألف مثله، ومنه قولهم: بدع الله الخلق: أى خلقهم على غير مثال سبق ومنه قوله تعالى: ﴿يَدْعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ١١٧]، وقوله: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] أى لم أكن أول رسول إلى أهل الأرض. قال: وهذا الاسم يدخل فيما تخرع القلوب، وفيما تنطق به الألسنة، وفيما تفعله الجوارح، والدليل على هذا ما سنذكره في أعيان الحوادث من تسمية الصحابة — رضى الله عنهم — وكافة العلماء بدعاً للأقوال والأفعال.

قلت: وقد غلب لفظ البدعة على الحديث المكروه في الدين مهما أطلق هذا اللفظ، ومثله لفظ المبتدع لا يكاد يستعمل إلا في الذم، وأما من حيث الاشتقاق فإنه يقال ذلك في المدح والذم المراد، لأن المراد أنه شيء مخرع على غير مثال سبق، ولهذا يقال في الشيء الفائق جمالاً وجوداً: ما هو إلا بدعة.

وقال الجوهرى في كتاب صحاح اللغة: البدع والمبتدع والبدعة: الحديث في الدين بعد الإكمال والبدعة في الشرع: هى الأمر الذى لم يكن عليه الصحابة والتابعون، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعى، وسميت البدعة بهذا الاسم لأنه قائلها ابتدعها من غير مقال إمام.

أما الآثار الدالة على اتباع لسنة وهجران البدعة فكثيرة ومنها: قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: «اتبعوا ولا تبدعوا فقد كفهم» وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «إنه سيأتى ناس يجادلونكم بشبهات القرآن، فخلوهم بالسنة، فإن أصحاب السنة أعلم بكتاب الله» وقال محمد بن مسلم: «من قرص صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام» وهذا كلام حكيم ذلك لأن توقيف المبتدع مؤد إلى اقتناعه بصحة ما فعل، وازدهاده في فعل المبتدعات أما إذا أحس بالمقاطعة فإنه لابد منه عما يصنع، عائداً إلى الصواب، وقد جاء في مثل هذا المعنى قول أنى قلابه: «لا نجالسوا أهل الأهواء ولا نجادلوهم فإنى لا آمن أن يغمسوك في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون» ويمكن للقارىء أن يعود في هذا الموضوع إلى كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» إصدار مكتبة ابن سينا بتحقيق عادل عبد المنعم أبو العباس، وكتاب «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» إصدار مكتبة القرآن بتحقيق مصطفى عاشور، وذلك إذا أراد الزيادة وهو مزيد لها لا محالة.

(٢) ترك النظر في كتب المبتدعة ليس فرضاً، وإنما هو من باب الحفاظ على القارىء، ولكن للعلماء أن ينظروا في هذه الكتب، لمعرفة آراء المبتدعة لاستطاعة الرد عليها وذلك من باب قول الشاعر:

عرفت الشر لا للشر
ومن لم يعرف الشر من

لكن لوقبه
الناس يقع فيه

محدثنة في الدين بدعة^(١)، وكل مُتَمَسِّم بغير الإسلام والسنة مبتدع كالرافضة^(٢)، والجهمية^(٣) والخوارج^(٤)،

(١) يشير بذلك إلى حديث صحيح أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ١٥/١، ١٦، والدارمي في المقدمة باب اتباع السنة ٤٤/١، ٤٥، وأبو داود في كتاب السنة باب في لزوم السنة ٢٦١/٢، والحاكم في المستدرک کتاب العلم ٩٦/١، ٩٧، وأحمد في المسند ١٢٦/٤، ١٢٧، وصحيح الجامع للألبانی ٤٩٩/١.

(٢) الرافضة: اسم يطلق على فرق متعددة، رفضوا إمامة أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان ابن عفان ومن هؤلاء فرقة يطلق عليها الجارودية، وهم أتباع أبي الجارود الهمداني، وقد زعموا أن النبي ﷺ نص على إمامة علي بن أبي طالب بالوصف دون الاسم، وزعموا أيضاً أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي بن أبي طالب وقالوا أيضاً: إن الحسن بن علي كان هو الإمام بعد علي ثم أخوه الحسين كان إماماً بعد الحسن واختلفت الجارودية في هذا الترتيب فرقتين:

فرقة قالت: إن علياً نص على إمامة ابنه الحسن، ثم نص الحسن على إمامة أخيه الحسين بعده ثم صارت الإمامة بعدهما شوري.

وزعمت الفرقة الثانية منهم: أن النبي ﷺ هو الذي نص على إمامة الحسن بعد علي، وإمامة الحسين بعد الحسن. ومن فرق الرافضة كذلك الجبرية أتباع سليمان بن جرير الذي قال: إن الإمامة شوري وإنها تتعقد لرجلين من خيار الأمة، وزعم أن الأمة تركت الأصلح لأن علياً كان أولى بالإمامة من أبي بكر وعمر. وهناك فرقة تسمى البترية وهم أتباع رجل يقال له الأبر، وهم أحسن حالاً عند أهل السنة من الجبرية. وكلهم في النهاية أصحاب بدع. ولزيد من التفصيل راجع الفصل في الملل والنحل لابن حزم، والملل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق للبهادري تحقيق الخشت.

(٣) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الجنة والنار تبديدان وتفتيان أيضاً أن الكفر هو الجهل فقط، وقال: لا فعل ولا عمل لأحد إلا الله وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز وزعم أن الله حادث، وامتنع عن وصف الله بأنه شيء أو عالم أو حي أو مرید وقال: «لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء وموجد، وفاعل، وخالق، ومحیی وممیت، لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده، وقال بخدوث كلام الله «وَلَمْ يُسَمَّ اللَّهُ مُتَكَلِّمًا»..

وقد أكفره أهل السنة في جميع ضلالاته. وانحرافات. وكلامه مردود عليه وعلى فرقته التابعة له.

(٤) الخوارج: اسم يطلق على كل من خرج على الإمام الحق المتفق عليه، وهم المتمردون على طاعة الإمام دون أن يعتنقوا مبدأ أو مذهباً معيناً، أو يكون لهم رأى خاص بهم، ولكن صار هذا الاسم علماً على طائفة لها منطقها ومذهبها ورأيها، وقد نشأت هذه الفرقة بسبب التحكيم في الخلاف بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضوان الله تعالى عليهما. فإنه لما نشب القتال بينهما في موقعة صفين، وطلب معاوية وصحه تحكيم كتاب الله تعالى، واختلف أصحاب علي في إجابة الطلب، ثم كانت نهاية الجدل قبول التحكيم، قام فريق من جند علي وقالوا: التحكيم خطأ، وكفروا علياً، وخرجوا من الكوفة إلى حروراء وسُمُّوا بالخوارج والحرورية وكذلك أطلق على بعضهم المارقة والمحكمة وهناك فرق أخرى عديدة تنتمي إلى الخوارج. وسائر فرقهم متفقون على أن العبد يصير كافراً بالذنب، وهم يكفرون =

والقدرية^(٢) ، والمرجئة^(٣) ،

= عثمان بن عفان ، وطلحة ، والزبير بن العوام ، وعائشة زوج النبي ﷺ ، ويقولون : لا حكم إلا الله ، وهى كلمة حق أريد بها باطل .

ويمكننا — بتوفيق الله — أن نبين أهم مبادئ الخوارج الشاذة التى اتفقوا عليها وهى كما على :

١ — تعظيم أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وصحة خلافتهما ، وصحة خلافة عثمان فى أول ولايته ، وكان يجب عزله عندما غير طريقة أبى بكر ، وولى أقاربه .

٢ — تكفير كل من لم يكن معهم ، ولو كان موقفه سلبياً أو محايداً .

٣ — كل من ارتكب كبيرة فهو كافر مخلد فى النار ، بل إنهم يكفرون أصحاب الذنوب ، ولم يفرقوا بين ذنب وذنب ، واعتبروا كل من أخطأ فى رأيه مذنباً ، ولذا كفروا علياً قبل التحكيم كما ذكرت آنفاً .

٤ — وجوب الخروج على الإمام الجائر وقتاله .

وهم يستندون فى جميع أقوالهم على أدلة واهية ، وشبه مردودة ، ذلك أنهم يأخذون بظواهر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية . فمثلاً يهتمون فى تكفير مرتكب الكبيرة على تفسير خاطيء لقوله تعالى : ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ فقد جعلوا تارك الحج كافراً لأن ترك الحج ذنب ، وكل مرتكب للذنوب كافر ، ولم يهتموا بأن الكفر المقصود فى الآية ليس إلا كفران النعمة ، وعلى هذا المتوال سار كل من أراد تكفير المجتبع فى القديم والحديث ، وأقوالهم مردودة عليهم .

(١) القدرية : فرقة من الفرق الضالة القائمة أن لا قدر والأمر أئف : يعنى مستأنفاً ، وهم فرق متعددة منها فرقة يقال لها : الخاطئية ، وهم أتباع أحمد بن حنبل القدرى ، كان من أصحاب النظام فى الاعتزال ، وقد زعم هذا الملعون أن للخلق ربين وخالفين أحدهما : قديم وهو الله سبحانه . والآخر : مخلوق وهو عيسى بن مريم ، وزعم أن عيسى ابن الله على معنى دون الولادة . وقد شاركه فى هذا الرأى ملعون آخر هو فضل الحدثنى ، وهما بذلك كافران ملحدان .

ومنهم فرقة يطلق عليها الحمارية ، وهم معتزلة عسكر مكرم . قالوا بتناسخ الأرواح فى الأجساد ، وزعموا أن الإنسان قد يخلق أنواعاً من الحيوانات كاللحم إذا دفنه أو وضعه فى الشمس فيلدود ، وزعموا أن تلك الديدان من خلق الإنسان . وهؤلاء شر من الجحوس .

(٢) المرجئة : فرقة من الفرق التى قالت بتأخير الحكم على مرتكب الكبيرة إلى يوم القيامة ، فلا يُقضى عليه بحكم ما فى الدنيا بكونه من أهل النار أو من أهل الجنة . فالإرجاء معناه التأخير . يقال : أرجأته وأرجيته ، إذا أخرته .

وسبب نشأة هذه الفرقة : أنه لما انقسم أتباع عليّ رضى الله عنه بسبب رضائه عن التحكيم إلى خوارج وشيعة ، وذهب الخوارج إلى تكفير عليّ وعثمان ، والشيعة إلى تكفير أبى بكر وعمر أرجأ هؤلاء الحكم فى شأنهم إلى الله ، ولهذا سُموا بالمرجئة .

وقد قسمهم البغدادى إلى ثلاثة أصناف :

- ١ — صنف قالوا بالإرجاء فى الإيمان وبالقدر على مذهب القدرية والمعتزلة .
- ٢ — وصنف قالوا بالإرجاء فى الإيمان ، وبالجزر فى الأعمال على مذهب جهم بن صفوان .
- ٣ — والصنف الثالث قالوا بخلاف ما قاله الجبرية والقدرية .

والمعتزلة^(١)، والكُرَّامية^(٢)، والسَّالمة^(٣)، ونظائرهم. فهذه فوق الضلال

= وأهم مبادئهم التي أسسوا عليها مذهبهم :

- ١- القول بإيمان المتنازعين ، وإن كان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً ، وحيث أنهم لا يعلمون ولا يستطيعون تعيين المصيب من المخطئ، فإنهم يرجعون أمرهم إلى الله .
- ٢ - الحكم على مرتكب الكبيرة بتفويض أمره إلى الله إن شاء عذبه ، وإن شاء عفا عنه وغفر له .
- ٣ - غالى بعضهم فقال : إن السجود للصنم ليس بكفر ، ولكنه دلالة الكفر . وهو قول المريسية أتباع بشر المريسي ، وهم مرجئة بغداد .

وهناك فرق أخرى تنتمي إلى المرجئة مثل التومية أتباع أنى معاذ التومنى ، والثوبانية أتباع أنى ثوبان المرجعى الذى زعم أن الإيمان هو الإقرار بالله وبرسله ، وبكل ما يجب فى العقل فعله . وهناك فرق أخرى كثيرة ذكرها البغدادي فى كتابه « الفرق بين الفرق » والشهرستانى فى « الملل والنحل » .

(١) المعتزلة : هم أصحاب واصل بن عطاء . نشأت هذه الفرقة فى بداية القرن الثانى الهجرى بالبصرة ، وسبب نشأتها اختلاف واصل بن عطاء مع شيخه الحسن البصرى فى حكم مرتكب الكبيرة . قال الشهرستانى فى الملل والنحل : « دخل واصل بن عطاء على الحسن البصرى فقال : يا إمام الدين لقد ظهر فى زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبار ، وجماعة يرجعون أصحاب الكبار ، فكيف تحكم لنا ؟ وقبل أن يجيب الحسن قال واصل : أنا أقول إن مرتكب الكبيرة ليس بكافر مطلقاً ولا مؤمن مطلقاً ، ولكنه بين المنزلتين . ثم اعتزل مجلس أستاذه الحسن ، فقال : اعتزلنا واصل ، فسموا لأجل ذلك معتزلة . وأهم مبادئهم التي أقاموا عليها مذهبهم :

- ١ - وجوب معرفة الله بالعقل .
 - ٢ - إنكار صفات المعانى والقول بخلق القرآن .
 - ٣ - مرتكب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين ولا شفاعة له .
 - ٤ - نفى رؤية الله تعالى فى الدنيا والآخرة لما تقتضيه من التجسيم والجهة .
 - ٥ - الله يريد الخير ولا يريد الشر ، ويجب عليه فعل الصلاح والأصلح لعباده .
- وقد ردَّ أهل السنة على جميع شبههم بالأدلة الناصعة ، والبراهين الواضحة .

ومع هذا فإننا لا ننكر فضلهم فى الدفاع عن الإسلام ضد أعدائه ، ورزاة آرائهم العقلية فى بعض الأمور .

(٢) الكرامية : هم أصحاب أنى عبد الله محمد بن كرام ، كان ممن يثبت الصفات إلا أنه انتهى إلى التجسيم والتشبيه ، وقد نصرَّ على أن معبوده على العرش استقراراً ، وعلى أنه بجهة فوق ، وأنه مجاس للعرش من الصفحة العليا ، وهو يتجول ويتنقل وينزل ، ومنهم من قال : إنه - تعالى عما يقولون - على بعض أجزاء العرش ، وقال بعضهم إنه - تعالى - بجهة فوق وقد امتلأ العرش به ، وصار المتأخرون من الكرامية إلى أن بينه وبين العرش من البعد والمسافة ما لو قدر مشغولاً بالجواهر لاتصلت به ، ومن أصول مذهبهم قيام كثير من الحوادث بذات البارئ تعالى ، وأن ما يحدث فى ذاته إنما يحدث بقدرته ، وما يحدث مبانياً لذاته ، فإنما يحدث بواسطة الأحداث .

وأنت من خلال ما ذكرته لك مدرك فساد مذهبهم ، ووضوح ضلالتهم فهم مجسمة ومشبهة وخلاصة القول أنهم أهل بدع وأصحاب مذهب فاسد . راجع الملل والنحل للشهرستانى ص ١١٥ وما بعدها .

(٣) السالمة : فرقة منحرفة ضالة يتبعون رجلاً يقال له : ابن سالم الذى كان يقول : إن الله تعالى على =

وطوائف البدع أعاذنا الله منها .

التقليد في المذاهب

وأما النسبة إلى إمام في فروع الدين كالطوائف الأربع فليس بمذموم ^(١) ، فإن الاختلاف في الفروع رحمة ^(٢) ، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم مثابون في اجتهادهم ، واختلافهم رحمة واسعة واتفاقهم حُجَّة قاطعة . نسأل الله أن يعصمنا من البدع ، والفتنة ويحيينا على الإسلام والسنة ، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله ﷺ في الحياة ، ويحشرنا في زمرة بعد الممات برحمته وفضله آمين .

وهذا آخر المعتقد ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

صورة إنسان له يد ورجل وأنف وأذن وعين وفم ، وله وفرة سوداء ، ونصفه الأعلى مصبت ، ونصفه الأسفل مجوف إلا أنه ليس لحماً ولا دماً . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

(١) يعنى بهذه النسبة أن يتنسب الإنسان المسلم إلى مذهب معين كالملكية ، والشافعية ، والحنفية ، والحنابلة ، وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب اتباع أحدهم في المذهب ، ولكننا نقرر أنه لا يجب ، بل هو متروك الحرية للإنسان .

(٢) الاختلاف في الفروع لا يضر ، بل هو دليل على سعة فقهنا الإسلامى ، وإعمال الفكر في فهم أصول الإسلام واختلاف الأئمة في هذه الفروع راجع إلى اختلاف الأفهام ، فهم — رضوان الله عليهم — متفقون على أصول الإسلام ، وهو في الحقيقة — أعنى الخلاف من الفروع — اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، لا كما نفهمه من لا علم له ، فراح يحارب مخالفه في المذهب مدعياً أن كلام إمامه هو الحق .

وبسبب هذا الفهم الخاطيء وقع التعصب المذهبي بين الأئمة في وقت ضعفه ، فوجدنا المتسمى للمذهب الشافعى المقلد له يسب ويهيب المقلد للمذهب المالكى ، والمقلد للمذهب الحنفى يمجده مذهبه ويحقد على غيره من أتباع المذاهب الأخرى ، وقد أدى هذا الخلاف إلى وقوع خصومات مازالت الأمة تتحمل أضرارها إلى اليوم ، والحق أن هذا الأمر لم يحدث قط بين أئمة المذاهب أنفسهم فقد كانوا رحمهم الله مثال الفهم والمعرفة نسأل الله لنا ولهم الرحمة والمغفرة .

تم التحقيق بحمد الله مساء الثلاثاء ١٠ ربيع الأول سنة ١٤١٠ هـ ...

١٠ أكتوبر سنة ١٩٨٩ م

المحقق

عادل عبد الحميد أبو العباس

مراجع التحقيق

أ - القرآن الكريم

- ب - ١ - صحيح الإمام البخارى .
 ٢ - فتح البارى شرح صحيح البخارى .
 ٣ - صحيح الإمام مسلم .
 ٤ - صحيح مسلم بشرح النووى .
 ٥ - سنن الترمذى .
 ٦ - سنن ابن ماجه .
 ٧ - سنن أبى داود .
 ٨ - مستدرک الحاكم .
 ٩ - كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال
 المتقى الهندى
 ١٠ - الفصل فى الملل والنحل
 ابن حزم
 ١١ - الملل والنحل
 الشهرستانى
 ١٢ - العقيدة والأخلاق
 على معبد ، ونيحى الجمل
 ١٣ - الباعث على انكار البدع والحوادث لأبى شامة الشافعى . تحقيق عادل
 أبو العباس
 ١٤ - الحضارة القرآنية من سورة الروم
 د . عبد المنعم سيد حس
 ١٥ - الاتقان فى علوم القرآن
 الإمام السيوطى
 ١٦ - منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا
 العلامة الأشمونى
 ١٧ - البرهان فى عقائد أهل الأديان
 للإمام السكسكى
 ١٨ - ديوان زهير بن أبى سلمى
 للشاعر زهير
 ١٩ - البداية والنهاية
 للإمام ابن كثير
 ٢٠ - طبقات الحفاظ
 للإمام السيوطى
 ٢١ - الثلاثة الذين تكلموا فى المهد
 عادل عبد المنعم أبو العباس

- ٢٢ - تاريخ المذاهب الإسلامية محمد أبو زهرة
٢٣ - عقيدة المسلمين والعقائد الباطلة محمد عبد المنعم القيعي
٢٤ - حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم . تحقيق عادل أبو العباس
٢٥ - العقيدة الواسطية لابن تيمية
٢٦ - الفرق بين الفرق للبغدادى . تحقيق محمد عثمان الخشت
٢٧ - المتحابين فى الله لابن قدامه . تحقيق
٢٨ - الروح لابن القيم . تحقيق عادل أبو العباس

وغيرها مما ورد فى حاشية الكتاب



فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة المحقق
٧	عقيدة نواكب الفطرة
٨	ترجمة المؤلف
٨	في رحاب العلم
٩	من التلمذة إلى الأستاذية
٩	ثناء العلماء عليه
١٠	أسد في ساحة المعركة
١١	مؤلفاته
١٢	شعره وجماله
١٣	إلى الرفيق الأعلى
١٤	بين يدي الكتاب
١٥	توثيق نسبة الكتاب لابن قدامة
١٦	منهج التحقيق
٢١	صفات الله وأقوال أهل السنة فيها
٢٧	ما جاء في القرآن والسنة من آيات الصفات
٣٣	من صفات الكمال لله
٣٦	القرآن كلام الله
٤٢	إنكم سترون ربكم
٤٤	فعال لما يريد
٤٦	الاحتجاج بالقضاء والقدر
٤٧	زيادة الإيمان ونقصانه
٤٨	آمن بما جاء عن رسولك

٥٣	الحشر .. حق وصدق
٥٥	الميزان من أمور الآخرة
٥٧	وجود الجنة والنار
٥٩	عقيدة ختم النبوة
٦٠	فضائل الخلفاء الراشدين
٦٣	المبشرون بالجنة
٦٥	الحذر من تكفير الناس
٦٦	لا تسبوا أصحاب النبي
٦٨	أمهات طاهرات
٧١	هجران أهل البدع
٧٥	التقليد في المذاهب
٧٦	مراجع التحقيق

رقم لايداع ١٩٩٠/٢٦٠٦